الزعامة الحقة

◆

ان الاضطهادات والمحن التي ترهق امة من الامم هي من تجارب الخلاص لانها تمهد السبيل الى انفجار الشعور العام الذي يراد خنقه . وليس ينوء بعبء تلك المحن والاضطهادات الا النفوس الخاملة العادية ، بينما النفوس الباسلة القوية تخرج منها اشد عزيمة واقوى مراساً . ثم لا يلبث المثل الاعلى ، ابو البطولة ونافث روح الحياة فيها ، ان يبعث حياً ظافراً .

وبديهي انه ليس لامرىء سوى طريقين اثنين يسلكهما لانهاض امته وتهذيبها وترقيتها، هما الفكر والعمل : الفكر مبدع الفن والجمال والحكمة،بنى الاهرام ورفع الاكروبول واعلى قباب الحمراء رمزاً للايمان ، وشدا بالالياذة واوحى بالمرسيليز وهدى الشعراء والفلاسفة .

والعمل خالق المثل العليا ، نفخ القوة والرجاء في نفوس الرسل والشهداء ، والجنود وعظماء القواد ، من بايار الى نابليون ، ومن طارق بن زياد الى الاسكندر . وهو ايضاً اعطى العالم ابطال الايمان والرحمة والمحبة ، الذين يقذفون في روع الانسانية بذورهم ، فتنبثق منها للاجيال زهرة البطولة الحقة .

واكثر ما تحتاج الامة في محنتها فالى رجل يمثل في ذاته فضائل الفكر والعمل . على ان الامة لا توفق الى رجلها العظيم ما لم تكن قد تهيأت تهيئاً مشتركاً شاملاً للوثبة الجبارة التي تضطرب في نفسه . فالفرد مهما استجمع من فضائل شخصية لا يستطيع من تلقائه ان يخلق من العدم اداة سياسية او اجتماعية ما ، اذا لم تكن تلك الفضائل مستكنة ايضاً وبالدرجة الاولى في ضمير امته . وليس الزعيم سوى مكافأة الامة على مجهود افرادها ، اولئك الافراد الذين تنطوي صدورهم على الجرأة والارادة : الجرأة في التفكير والارادة في العمل . لكن يجب ان يتضامن الفكر والعمل في هؤلاء الافراد جميعاً ، على تباين استعداداتهم وميولهم ، فلا يكون ثمة مفكرون في ناحية ، وعاملون في ناحية اخرى .

قلنا ان الزعيم هو مكافأة الامة على جهود افرادها . فعلى هؤلاء ان يفكروا ويعملوا حتى اذا اهتدوا الى ذلك الرجل ودفعوه ، دفعهم هو بدوره ، ورفعهم . وان الامة بماضيها وحاضرها ومستقبلها هي التي تخلق زعيمها ، ممثل فضائلها ومستودع تراثها الروحي . ومتى قلنا : الامة ، فلا يصح ان نسقط من الحساب ، الآلام والمحن والاماني والاحلام ، تلك التي تتمثل في الرجل الفذ ، فيصهرها بما يضطرم في نفسه من نار الحمية والاخلاص الوطني والتضحية والزهد فيما عدا المهمة التي وضع نصب عينيه القيام بها ، ثم اذا هو يقود امته في طريق الخلاص من محنتها ، في طريق المجد ، نحو تلك القمة التي اجلسها عليها من قبل ، ابطالها الميامين ، لخير شعبه والانسانية على السواء .

على ان الزعامة الحقة تكون اولا وآخراً مستمدة من ارادة الشعب،مستهدفة مصلحته التي لا يمكن، اذا فهمت على حقيقتها، ان تتنافى ومصلحة سائر الشعوب ، فهي تتلاقى واياها في صعيد واحد من الفكر الانساني الذي لا يعرف حدوداً . وفي هذا على ما نعتقد روح الديمقراطية الصحيحة .

البير اديب

مايول والمثالة الفرنسية

بقلم ج . لاسبن



الالاهة فلور للمثال مايول

لا مشاحة في ان المثالة (او صناعة التماثيل) تستلزم بطبيعتها من الجهد ، ولا سيما من الجهد الفكري، ما لا يستلزمه فن الرسم او التصوير . فالوقت الذي تقتضيه المثالة من شأنه ان يحول دون التجارب الطوعية والمحاولات المجانية المرتجلة . وهكذا لم يعرف ذلك الفن ما اجتازه فن الرسم ، في الاعوام الاخيرة ، من حالات البحران او الحمى الذهنية .

لكن اذا امعنا النظر نرى ان هذا الامر كاد يقع ايضاً . فقدوة المثال (رودن) الذي تجسدت فيه الفردية المتطرفة كانت خليقة ان تؤدي بالمثالة الى تلك الغاية . سوى ان رودن كان من العباقرة ، قيمة صنيعه الفني فيما وراء اسلوبه (او في انه لا اسلوب عنده) . على ان المثالة ، عقب وفاة رودن ، وُجدت في مثل الحيرة او القلق الذي وجد فيه فن الرسم عقب المذهب الانطباعي ، اذ اصبح من الواجب ان تعاد الى المثالة قوانينها ، ولم يكن ذلك هيّناً بعد ان انقطعت كل صلة بالماضي .

لقد كان فضل (بورديل) في انه فطن الى هذه الضرورة ، وهي ان تعاد الى الفن وحدته . غير ان الاسلوب هذه المرة قضى على الروح الفني قضاء مبرماً ، نعني ذلك الاسلوب الجامد الذي تصرم زمنه ، والذي مهر العالم بمدرسة من شرّ المدارس الفنية ، تقوم على مذهب في التقليد لا تعد الاكاديمية بأزائه شيئاً مذكوراً . فالعقل ، كما يقول (ايلي فور) اذا تجاوز حده خطوة واحدة صار فلسفة ، فاذا خطا خطوة اخرى امسى سفسطائية او صناعة لفظية لا طائل تحتها ، ولم



بوس الفن في باريس المحتلة : مايول اكبر مثال فرنسي يهيء بيده عشاءه العجيف .

يتحاش بورديل السقوط في حمأة ذلك الضرب من السفسطائية « اللفظية » .

على ان هذا لا يهم كثيراً ، منذ اصبح حل مشكلة الفن في متناول اليد . فبينما كان بورديل يعدو خلف المجد، كان (مايول) يواصل مجهوده الفني الذي عرج به دفعة الى سماء الابداع الكوني المطلق . لا نقول ان الكلاسيكية قد بعثت من مرقدها ، انما نقول انها استمرت كأن لم ينبت حبلها ، وكأن جميع طرف الماضي الفنية قد انتهت الى هذا الفن الجديد . ومنذ ذلك الحين اصبح تاريخ المثالة الفرنسية واضحاً ، وطريقها قويمة موطأة .

وبالفعل ، ان بباريس لعهدنا هذا ، طائفة من المثالين الشباب احرياء بالاعجاب ، ولا يفتأ عددهم في ازدياد .

لا جرم ان هؤلاء الفنانين الشباب لم يبلغوا من التطور مرتبة واحدة . فبعضهم ما زال جاداً في البحث عن ذاتـه ، بينما البعض الاخر مسترسل في اساليب ونظريات غير ناضجة . وثمة نفر ما انفكوا مترددين متسمة آثارهم بالقلق والحيرة ، بينما نفر آخرون قد استسلموا بسهولة فائقة لنشوة الصنيع الفني . لكن لا يسعنا ان نتجاهل ضرباً من التجانس او القرابة بين آثار اولئك المثالين الشباب جميعاً ، وهو تجانس قيمته الفضلى في انه غير صادر عن اي تقليد او محاكاة . وهذا بديهي ، فهؤلاء الفنانون ليسوا تلامذة استاذ واحد . ان فريقاً منهم تتلمذوا لمايول ، لكن اكثرهم تخرجوا من كلية الفنون الجميلة (تخرجوا منها مادة وروحاً) دون ان يتاح لهم لقاء المعلم الشيخ ، مرة .

ويخيل الينا، رغم هذا كله، ان للمثالين الشباب تراثاً مشتركاً. ذلك ان مايول هو عندهم اكثر من معلم : انه كسبب وجودهم . بهذا يعرف الائمة الحقيقيون ، فهم لا يؤثرون تأثيراً مباشراً محدوداً بالضرورة ، خانقاً المواهب الفطرية ، لكن لصنيعهم الفني معنى او دلالة عامة تبدل سيرة الفن وتحول سياقه . وان ما يعطي المثالة عندنا في هذا العصر ، تلك القوة وذلك التنوع ، هو ان مايول قد وجد . وان عظمة المبتدعين من رجال الفن تقوم بانهم يحررون الذين يأتون بعدهم من اسر الجهل ورق الضلالة . فاذا كان مايول قد استطاع ان يحدث ما احدثه من اثر ، فلانه لم يتنازل عن شخصيته بوجه ما ، ولانه لم يطلب عبارته الانسانية الباقية في الكتب او في المتاحف ، بل في ذاته . وهنا تأويل عظمته وسر تأثيره في المثالة الفرنسية الحديثة .

ج . لاسين

●



بؤس الفن في باريس المحتلة : المصور دوفي يمزج الوانه على جريدة سيارة .

لماذا تحارب اميركا

●

تعود الناس تلقيب الولايات المتحدة بالجمهورية الفتية لمحض ان قدمر على وجودها حتى الان نحو مئة وخمسين عاماً من العمر. لكن حكومتها تعد من اقدم حكومات الارض عهداً. فهي من الدول القلائل التي لم تبدل شكل حكمها منذ تأسيسها الى اليوم. وقد رأت النور وهي منقطعة عن سائر العالم يفصلها محيطان كبيران عن القارات الباقية، ولا جيران حولها يضمرون لها شراً. فامكن اهلها ان يعيشوا براحة وطمأنينة ويعالجوا ما في اراضيهم من ثروة ويستثمروا خيراتها الظاهرة والخفية.

كان سكانها قلالا على مساحتها الواسعة فنشوا دائماً في الحياة بتقدم مستمر. واغرام نجاحهم المتواصل بالابتعاد الدائم عن كل اشتباك بالمشكلات الاوربية. وكان اتساع الارض امامهم مانعاً لهم من الشعور بضيق، بل حال دون ادراكهم للضيق الذي يشعر به سواهم.

وما زالوا هكذا ينعمون بعزلة هادئة حتى وفرت اموالهم وتدرجوا في مراحل الحياة من دور الى دور، فعظمت قوتهم واحترمهم الاجانب، وفوق ذلك تكاثر عديدهم فصاروا بطبيعة الحال من الدول الكبرى.

ولم يلبثوا ان ادركوا، بحكم احتياج الشعوب اليهم، اهمية اشتراكهم مرة بعد مرة في حل مشكلات هذه الشعوب. ولما ختم القرن التاسع عشر سادت الفوضى والاضطرابات في جزيرة كوبا، الواقعة على ابوابهم، فاكرهتهم على محاربة اسبانيا وتجريدها من مستعمراتها. فاحتلت اميركا الفيلبين في الشرق الاقصى واصبحت بهذا السبب علاقاتها كثيرة باسيا واوربا.

وبعد ١٥ سنة نشبت الحرب العالمية الاولى فبذلت حكومة الولايات المتحدة جهدها لعدم الاصطلاء بنارها وبقيت محايدة خلال السنوات الثلاث الاولى. لكن تفسيرها للحرية التجارية جعلها تميل شيئاً فشيئاً الى جانب الحلفاء ضد المانيا والنمسا وما زالت الحوادث تتوالى حتى اندفعت عام ١٩١٧ الى الميدان بعد نسف الغواصة الالمانية للباخرة الانكليزية الكبيرة لوزيتانيا واغراق عدد كبير من ركابها الاميركيين.

وبعد قهر المانيا في تلك الحرب عادت الولايات المتحدة الى عزلتها ورفضت حكومتها ما اراد رئيسها الدكتور ولسن جرها اليه من الاشتراك مع الدول في التنظيم العام الجديد، ولم تنخرط في سلك جامعة الامم التي انشأها ذلك الرئيس نفسه.

لكن هذه العزلة لم تكن طبيعية فقد تكاثر احتكاك المصالح الاميركية بمصالح الدول الى ان صار من المستصعب معالجة مشكلة عالمية بدون الوقوف على رأي الولايات المتحدة في شأنها.

والان ما الذي يحدو باميركا الى دخول الحرب الحاضرة؟

قبل الاجابة على هذا السؤال نمهد بذكر ثلاثة عوامل:

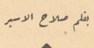
اولها ان تقاليد الحرية بعيدة المدى في اذهان الاميركيين واخلاصهم للديمقراطية قوي عميق. ان محبي الحرية في سائر العالم يحتملون مثلا ان تقوم على جوانبهم حكومات عاتية مستبدة. اما الاميركيون فلا يتصورون هذا الامر ممكناً بجوارهم، بل يرون كل تهديد للحرية اينما كان، تهديداً لحريتهم نفسها.

والعامل الثاني ان القوة التي تستطيع اميركا وضعها في الميدان، في جهاد كالجهاد الحاضر في سبيل الحرية، عظيمة جداً. وعظمتها تغري الاميركيين بالقائها في احدى كفتي الميزان ما دام يترتب على ذلك تعجيل فوز الحرية. فعندهم كل الوسائل الضرورية لقهر العدو، سواء في العقول او المواد او التنظيمات او الاطمئنان الى عجز العدو عن التوصل اليهم وعرقلة اعمالهم.

والعامل الثالث والاخير هو ان الاستسلام للخوف من عدو اجنبي امر غير مألوف في تاريخ الاميركيين حتى الان. ان جميع مساعي الالمان لترغيب الاميركيين في اجتناب هذه الحرب لم تؤثر فيهم بمقدار قلامة ظفر. فهم يكرهون الحرب بطبيعة حالهم، لكنهم لاجل ذلك يكرهون وجود طاغية كهتلر على رأس دولة كالمانيا. لان هذا ما جلب الحرب على العالم وعليهم. وقد جاءت اساليب هتلر في التعدي على دول اوربا الصغيرة واعماله في فرنسا وغيرها مبررة لرأيهم فيه وحاملة اياهم على الهبوب في وجهه.

هم لم يحاربوا في الماضي لجر مغنم ولا يحاربون الان لغرض مادي. بل كل ما يطمعون به تعزيز الحرية في العالم وانقاذها من مخالب النازي والفاشست واضرابهم. واذا كانوا يهتمون في حرية العالم فلأن حريتهم الخاصة مشتقة منها، ولا يأمنون عليها الا عند تأمين الحرية العامة.

الحلفاء والشرق



نحن اليوم على ضفة الربيع الثالث من هذه الحرب ، نحاول ابداً النفاذ الى اغوار الغد القريب ، ما وراء الغمام القاتم . وعلى نجمة ليالي الربيع في افاق هذا الشرق الصاحية ، رواه احمر ، يستحيل شحوباً على الاجواء ، فالارض اليوم في بهرة المأتم الفاجع .. نحن على ضفة الربيع الثالث ، هذا الربيع الذي نريده طاهراً كالشرق ، ساذجاً كاعرافه ، فتياً كامانيه ، غضاً كسمائه ، ترقزق فيه طيور الصباح ، وتغني مياه الانهر والعيون ، وتفتر وجوه الحقول عن الف لون ، وترف الاطياب مع النحل والفراش على ثغور الورد والاقاح والياسمين ، والنجوم تلمع فرحة بالربيع ، والنور والظلمة يمرحان على وجه الكرة ، والاشجار تحمل حيوات عصور في كل نواة ، والشرق في جو الصلاة ، على حدود تراب الخطيئة .

ولكن الصراع الذي حضن بذراعيه الارض ، دغدغ الشرق ، وابعده عن احلامه ، ودفع به الى اتون المخاض العالمي المريع ، بين معسكري الحق والباطل ، ولقد قلنا في حديث القيناه يوم اعلنت الحرب بالحرف الواحد « فعلى العرب ، وهم ابناء اولئك الذين عرفوا كيف يسوسون الناس ، بل على كل صقع عربي يريد في غده حياة حرة مستقلة ، يريد ان يكون محترماً عزيزاً مستقلا ، ان يقوم اليوم بعمل من شأنه ان يزيد في حيويته ، وهو الدفاع عن المبادىء المشتركة التي تربطنا بالشعوب الديمقراطية » هذا كلام املته العقيدة . والايمان الثبت فنحن يومئذ لم ندع احداً للدفاع عن فرنسا ، ولكن دعوتنا كانت للدفاع عن الحق المشترك الذي يربطنا بالشعب الفرنسي العريق . واليوم ، فرنسا تنتزى على القيد ، وتغص بالجرح ، وتتربص في المأساة وتكافح حتى اعاصير القدر ، على يد دى غول ، البطل الذي كان يشهد من بعيد ، وراء خطوط النار محاولة المتسلمين الذين لم يفهموا قط قيمة المعنويات الفرنسية ، فتمخض دى غول ، بالثورة على الغاصب في الساعة التي كان العالم المتمدن يطلب فيها من فرنسا ثورة جديدة .. وترفده انكلترا بالولاء في الميادين الرحبة ، حيث يسيل الدم الفرنسي الى جانب الدماء الزكية من اجل الحق .

والصراع اليوم – في عامه الثالث – يتخذ في الشرق شكلا جديداً ، بعد ان تكتل الشرق على السنة زعمائه وملوكه لنصرة الديمقراطية ، فهنا قضيتان ، باطل يحوم بالموت والبارود والدم والاشلاء ، وحق يقوم على الميثاق العدل وصيانة الحرية ، وحراسة الفكرة الانسانية ، ومن الفخر ، والشرق له ماضيه الخالد ، وحاضره المتوثب ومستقبله المرصود ان يسجل له الدهر في كتابه شرف الشعور بالواجب والقيام به دون تحفظ او مساومة ، فبينا نلمح وراء جدران الشرق اضواء الكفاح الاني الهائل ، بين حق الديمقراطية وباطل الديكتاتورية ، التفت مشارف نجد وصنعاء الى الهلال الخصيب ، فمصر والعراق وايران والافغان والهند حول الديمقراطية تدفعها ذكريات تاريخية حبيبة فامم تقوم بواجبها للواجب نفسه ، لا تداور ولا تساوم ، جديرة بمستقبل كريم لتتمكن من القيام مع بقية الشعوب اليقظة بتأدية رسالة الديمقراطية ، رسالة الاديان التي شعشعت في الارض الشرقية .

والشرق مع الحلفاء ، لا توءثر فيه اساليب الدعاوة الرخيصة فالباطل المسلح يسكب على الضحية دموع التماسيح ويتهم الديمقراطية بالجريمة ، ويملأ الدنيا بغرامه وعبادته للسلم ويملأ بلاده بالاضاليل ويضعها في معزل عن العالم ، ويقطع بينها وبين ما يجري حولها ، فامته قطيع من الاغنام ، يقودها الذئب الاكبر وتحرسها الذئاب من كل جانب ، يحصون عليها الانفاس ، ويزعمون انهم يجبون لها الف مرج ومرج ، فاذا غلمل احد الاغنام في الطريق المشرف على الهاوية ، دفعه الذئب الاكبر الى الحضيض وغمس يده في دمه ، وتنلفت الذئاب فقد اغراها منظر الدم فهاجت ، فاذا في السجون الاف الاحرار من رجال الفكر والعلم والشعر ، واذا شعب باسل تدوسه عدالة الطغيان ، واذا الذئب الاكبر ، وقد نفض يديه من الجريمة ، يقول للناس بوقاحة عجيبة انهم مدينون له بما تمتعوا به ويتمتعون وهو وحده يعرف كيف تموت الحرية الف مرة في اصقاع بلاده والبلاد التي داستها جيوشه .

الشرق مع الحلفاء في دائرة الفكرة الانسانية ، ذلك ان عليها وحدها يقوم انعتاق الانسان من كل موءثر شرير ، وهي وحدها التي الهبت الايمان في الصدور التي تقف اليوم في خطوط الحلفاء . ان الحرب وحشية دنيئة ولكنها نعمة ورحمة اذا كانت السبيل الوحيد للخلاص من الوحشية الدنيئة ، ولن يكون هذا الصراع سبيلا لغير نصرة الفكرة الانسانية هذه الفكرة التي تخص الخير والفكر والحب والجمال .

والديكتاتورية مقبرة الشعر والفن والفكر ، مقبرة كل نبوغ ، ولقد قرأت منذ امد غير بعيد كلمة لهتلر يقول فيها « افتتح اليوم معرض الفن ، ان الفن يجب ان يكون في السبيل الذي نريده له ، لانريد فناً مجنوناً نريد فناً مكيفاً على المبادىء التي ندين بها » والشرق ملعب الفن الاول يعرف ان الفن حر ابدا لا يقيده خير ولا يقيده شر ، غايته امتاع الحواس ، وامتاع الشعور قبل كل شيء ، فالتوجيه الخارجي في الفن نوع من النماذج التي لا تكتسب من الفن الروح او عمق الشعور او اضطراب الفن وقلقه ، لذلك كان الفن يعلن عن الحياة ويكيفها بطريقة ايحائية ، ولا يصورها قط ، فالدكتاتور يريد الفن الة في يده والموسيقى وقفا على انغام موسيقية عسكرية يريد الفكر صيحات مزورة مريضة ، عابقة بالبارود والكيمياء ، لذلك مات الفن في بلاد الطغاة ، وموت الفن وحده وصمة العار في جبين الطغيان ، اذا كان للطغيان جبين ، فالقلم هذه الاداة السحرية التي اتيح لها مرارا تغيير مخطط العالم تئن في بلاد الدكتاتور ، وتعول وتنتحب .

نحن مع الحلفاء على ضفة الربيع الثالث في الطريق الى فجر النصر ..

صلاح الاسير

الالم والمرح واثرهما في النفس

بقلم الانسة فلك طرزي

هنالك خاصة نفسية عامة يكاد لا يختلف عليها اثنـان مهما بلغت بينهما شقة التباين : هي ان المرح صفة من ابرز الصفـات وألصقها بالنفوس، وخاصة طبيعية يتذرع بها الانسان في كل حـين لمجابهة عاديات الدهر واحداثه ، كما ان الالم شعور من اسمى المشاعر التي تختلج بها النفوس ، يبعث فيها حياة فيحوك بارق من احساسها ويطلق ما احتبس من غيض خواطرها وتفكيرها فما من نهضة قامت وما من تطور وجد ، ومن حق شيد بنيانه وارتفع الا وكان الالم الحافز الاول على حدوث كل نهضة وتطور وقيام كل بنيان، والمرح سنداً له يسهل عليه ادق المهمات ويفسح امامه أخطر السبل . ليس للانسان عن المرح غنى في حالة من حالات الجد واللهو ، لان المرح الصافي قوة كبرى ، تحبوه قدرة على الاحتمال ، وتمنحه صبراً وجلداً يتغلب بهما على ما يعترضه من العثرات والصعاب . وقد يخطىء بعض الناس ، فيخلطون بين المرح والخفة ويفسرون المعنى الاول بالثاني ، او لا يفرقون بينه وبين الكآبة ، وشتان بين المرح الصحيح والخفة او الطيش ، وشتان بين الالم العميق وبين الكآبة . ذلك لان معظم الناس عندنا لا يمرحون المرح الذي يبعثه الشعور ، او بتعبير اصح ، هم لا يشعرون بالمرح الذي يخترق اعماق النفس فيجلو ويكشف عن اصفى مشاعرها ، ثم يلبسها بعد ما يلبسها ، ابهى حلله البهجة : انما شعورهم به لا يتجاوز المظاهر السطحية التي تبدو منه ، وهذه المظاهر لا تعدو ان تكون خفة وطيشاً ، وقد تكون هذه الظاهرة من حياتنا ناشئة عن خلو هذه الحياة من الجد الصحيح وما يتولد عنه من ضرورة وحاجة . وكما اخطأوا في تعليل المرح، اخطأوا ايضاً في تعليل الالم : ظنوه كآبة وما فطنوا الى ان الكآبة ليست احساساً ، بكل ما تنطوي عليه هذه الكلمة من معنى : وانها ليست الا عارضا من تلك العوارض النفسانية التي تنجم عن عوامل كثيرة منها الملل والضجر ، وان الالم شعور بليـغ يتولد في النفس على اثر بواعث ودواع جوهرية لها مساس عميلة بها ، ولهـا قدرة على وصلها بخفايا النفوس . الكآبة المستعصية تتحول غالبـا الى ميوعة ووهن ، وتنتهي بصاحبها الى اليأس والخذلان . والالم رصانة وقوة لمسندها ايمان وقدرة ، على الخلق والابداع تنتهي اكثر الاحيان الى احراز الغلبة والنصر في ميادين الفكر والعمل التي يتخذها محوراً له ودائرة . وقد يتساءل احدكم مستغربا : لم الخلط والمزج بين تلك المعاني والتفاوت بين كل منها واضح ؟ وان صح هذا الامر فما هي اسبابه ؟ اسمحوا لي ان اعقب على سؤالكم بآخر فأتساءل : هل هم يدركون هذا النقص حتى يتبينوه ؟ واذا ادركوا اسبابه هل حاولوا ان يتلافوه؟ دعوني اجيب عنكم وعني فأقول : هم لا يدركون النقص ولا يدركون اسبابه بل انا اتشبث « باللا » النافية هذه اذ لو كان الامر على عكس ذلك لما رأينـا وجه الحياة في بلدنا مشوهاً : هذا التشويه ، وكما رأينامعناها ممسوخا ذلك المسخ . وكأني بقوانين وسنن الحياة الطبيعية التي تسير جميع الامم وتدفعهم الى الامام ، فتعوج السبل امامهم تارة وتستقيم اخرى كأني بهذه القوانين والسنن قد انقلبت عندنا على اعقابهـا فهي تفرض علينا بعض اعمالنا وسير حياتنا ، اعمال وسير بعيدة عن المنطق والعقل تضج منها كل نفس . وما هي اسباب ذلك التقهقر ؟ فقد يكون من اسبابه جمودنا وتشبثنا بماض تفصلنا عنه هوة زمنية سحيقة ، وقد يكون من اسبابه استنكارنا التحرر من بعض العادات التي تتنافى ومقتضيات الزمن ، واباؤنا تكييف عقولنـا على عقلية العصر ، وتمهيد السبل لتطوراته اليها . ولعل من اسبابه ايضا فهمنا الامور على خلاف حقيقتها وسيرنا اياها ، في الطرق التي تنافي الواقع .

لعل الالم الملهم الذي يكشف عن طوية الضمير الكوني والانساني ما زال محافظاً على سذاجته وفطرته من نفوس لم تشق بعد اساليب المدنية المعوجة في سبيلها اليها، وقد لايخلو هذا الشعور من بعض القوة والجمال في نفوس لم تضطرب بعد المعاني المشوشة فيها ولم تسبب لها حيرة وقلقاً غير ان هذا الالم على رغم سلامته من الزيف والكلفة وبعده عن الزخارف الكاذبة ، لا يزال الى الغريزة الحيوانية اقرب منه الى الشعور الانساني ولا يزال بحاجة الى تغذية وتهذيب، لكي يرتفع عن درك الغريزة ويبلغ مرتبة الشعور . وهذا من عمل البيئة الاجتماعية سواء في داخل البيت ام في خارجه : فاما ان تمهد له واما ان تسد من دونه جميع منافذ الرقي . وتكاد الطبقة الدنيا لا تعرف المرح لان الشعور به يلازمه غالباً تفكير ، والمرء بحاجة بلوغ حد بين الرقي العقلي لكي يتعلم او يعتاد التفكير ، ودليلنا على ذلك ما نسمع ونقرأ عن اسباب المرح التي يهيئونها في البلاد المتحضرة ، بل يخلقونها خلقا ، ويبتكرون لها انواعاً من الافانين ،

يجد فيها طلاب المتعة واللهو البريء ما يلائم امزجتهم ويتفق مع ميولهم ورغباتهم ، اما الطبقة الوسطى فاما ان تستخف بالمسرح وتعرض عنه لانه عند ظنها مفسدة للاخلاق يحط من قيمتها ، واما ان تندفع خلف ما يبدو احيانا من مظاهره فيؤدي بها ذلك الى اسوأ العواقب . اما طبقة المثقفين ، فمنهم من هضم الثقافة هضما ادرك فيه انها لا تقاس بعدد ما قرأ من الكتب وبصم ، بل يعلو المستوى الذي ترفعه الثقافة اليه ، ليشرف منه على حقائق الكون ومعاني الحياة ، وبقدر ما غذت الثقافة فيه وساعدت على نمو ملكاته الفكرية ومواهبه الشخصية وخصائصها . ولعل هؤلاء هم اكثر الناس ادراكاً للمرح ، لانهم يعلمون ما تتطلب الحياة من اللهو والجد ، ويعلمون ان الجد يستلزم العبث والمرح ، لكي يستعان بهما على تبديد الفتور والملل اللذين يلازمان الجد غالب الاحيان . ولكنهم كما قال عنهم احمد امين : « اشد الناس بؤساً في الامم الشرقية ، هم الطبقة المثقفة المهذبة التي رقي ذوقها ، فهي لا تكاد تجد لها ملهى يتفق وذوقها الا بعض شرائط السينما ، وهي — على قلتها — لا تشبع رغبتهم في السرور ولا تكفي في تخفيف اعبائهم في الحياة . ومنهم من لا تتجاوز ثقافتهم هذه الكتب التي قرأوها وبصموها ، لا تتجاوزها الى الاعماق حيث تكمن كنوز الشخصية وتختبئ ثرواتها وحيث تكمن ينابيع الذات وما يدفق فيها من اصناف المياه . هم يرددون اقوال غيرهم ويعتنقون آراءهم ، ويفكرون من خلال ما كتب الكتاب ، وما من فرق بينهما سوى ان هؤلاء يتكرون فيهم حيوية ، وفيهم قدرة على التخلص والابداع ، واولئك ليسوا الا مقلدين ، قد خملت حيويتهم ، وخمدت فيهم شعلة الابتكار . وهنالك فريق من الناس بعضهم ان جد كان جده عبوساً وتقطيباً ، والجد بعيد عن كل عبوس وتقطيب ، وبعضهم ان عبث كان عبثه طيشاً ومجوناً ، والعبث بريء من الطيش والمجون ، وهؤلاء واولئك فئتان : رجعية مفرطة في رجعيتها ، ومستهترة مغالية في استهتارها ومجونها . »

الالم والفرح شعوران اساسيان من مشاعر الحياة ، وصلتها بكل ناحية من النفس هي صلة البعث والتجديد والابتكار : والفن يبرز آثارهما باروع شكل واخلب مظهر ، والموسيقى كما قال الشاعر الهندي العظيم تاغور «هي انقى اشكال الفن واصدق تعبير للجمال ، واقرب لغة لاخضاع القلب » . فما الحان موزارت وشتراوس ، الا نفحات ملائكية تفيض بذلك الفرح الذي لا يدع في النفس جارحة الا ويغمرها باحساسه . وما الحان بتهوفن وشوبرت وفاجنر ، الا نفثات سماوية يطفح منها الالم العميق الذي تتغلغل عبقريته في الصميم ، فتمزقك وتذهلك وترفعك في آن واحد الى حيث تنتشي بالخمرة الصافية التي انتشوا بها وسكروا .

اما فنانونا فيا ويل الفن من اكثرهم ويا ويلنا عليه! مسخه بعضهم فحوله نوحاً وبكاء ، واستهان به بعضهم ، فجعله سبيلا لاذلال اسمى العواطف البشرية بالنحيب المتواصل ، واسترخصه آخرون فحشوه بالسرقات والتقليد واخضعوا كبرياءه الى احط اساليب التجارة . على الفن ان يمثل بعض الحالات والازمات التي نجتازها في حياتنا القومية والانسانية ، ويصور انفعالاتنا النفسية والخلقية ويكشف عما دفن وغمض من آمالنا وافراحنا ويترجم آلامنا واحلامنا . ويجب ان يحيي ادبنا مع الحياة فيردد اصداء الفكر والقلب . يجب ان يكون لنا فن يقوم على الادب والموسيقى ، يجب ان تشعر نفوسنا شعوراً انسانياً صادقاً بكل ما تبعث الحياة فيها من انواع الاحساسات وما تحدث فيها هذه الاحساسات من الانفعالات . لا ان تكون لنا نفس ولكن القلق والاضطراب يشوبانها وكل ما ينبعث منها انما يكون صورة عن هذا القلق وذلك الاضطراب .

كل نقص قابل الاصلاح والتلافي ان ادركته بالدواء . فيجب تنظيم جميع مرافق حياتنا من جديد ، وقلب كثير من اوضاعها الشاذة ، لكي يخلي السبيل امام الاوضاع الطبيعية التي لا يعيها ذوق ولا ينفر منها . ومتى ساد النظام وروعيت حقوقه واخذت قوانين الحياة ومنتها مجاريها الطبيعية الى حياتنا ، تبدل الحال وانقلب فتنشأ الناشئة وتبني حياتها على قواعد متينة . وليس ذلك بعسير على طموح الشباب وعلو همته . فرسالة الشباب الى الحياة هي رسالة الحضارة والتطور ، كما ان رسالة الطبيعة اليها هي رسالة الربيع ، ولا يخطئ من يسمي كل تطور في الحياة ربيعاً ففي كليهما يحدث البعث والتجدد فيحل وضع مكان وضع ، ويبدل لون من الوان الحياة بآخر . والتطور يرمز الى الحياة ، والحياة رمزها الشباب ، وكل حياة لا يتخللها تطور ولا تبعث روحها حيوية الشباب تنذر بسوء المصير .

ايها الشباب ، ان سبل العمل واضحة امامكم ، تناديكم وتدعوكم الى ان تسلكوها ! ولكن لا يذهب بظنونكم ان هذه السبل قد تكون محفوفة بالورد والرياحين كتلك التي تكتنف الرياض والروابي الآن وتحف بها .

ولا تنسوا ان بجدكم وشبابكم ،

بنفوسكم الفتية الطامحة الى الارتقاء ، بالجد والكد ، بالنضال والمثابرة ، بالصبر والارادة تستطيعون الوصول !

دمشق — فلك طرزي



الشاعر

بقلم الياس ابو شبكه

خلقتك صورة مما هويت ... فخمر انت من وحي وقوت

وتنزعك المزاعم من حقوقي ... كأني ما عشقت وما شقيت

لغيري تدّعي الدنيا سراجاً ... له منه الفتيل ولي الزيوت

وكم نكر الزمان عليّ حقاً ... وكم فني الزمان وما فنيت

وفاؤك بهجة الاجيال ذكر ... وحبك آية العشاق صيت

خيال انت من روحي وقلبي ... تشع له بديواني البيوت

سكبت عليه من حي عطوراً ... ومن شعري جمالا لا يموت

لولاك ...

ايحق لي في غيرها الغزل ... وعلى فمي من قلبها قبل

وكأنني في عينها لهب ... بفؤادها الولهان متصل

يبدو رماداً حين تلحظنا ... عين ، وحين تغيب يشتعل

يا خير من حنّت لها مهج ... واحب من غزلت لها مقل

افرغت عطرك في دمي فعلى ... شعري عبير منك منهمل

لولاك جفّ الشعر في كبدي ... وحييت لا حبّ ولا امل



مهمة فرنسا

للجنرال شارل دى غول

نرى تضامن الاهداف والارادات يظهر بين الشعوب ليسحق العدو المشترك ويعيد بناء العالم ، هــذا التضامن الذي لا يكتفي بضمان النصر بــل يعطي الحرب معنى اسمى ويؤكد لجميع الذين يتألمون ولجميع الذين يموتون انهم لم يتألموا ولم يموتوا عبثاً .

فالجندي السوفياتي الذي يجابه الدبابــة الالمانية ، والطيــار البريطاني الذي يعارك الطيران العدو ، وبحار فرنسا الحرة الساهر على البحار ، والعامل الاميركاني الذي يدير ادواته ، والرجــل والمرأة في كــييف وفرصوفيــا وبراغ واثينــا واوسلو وامستردام وبروكسل او في باريس ، هؤلاء جميعاً الذين يقاومون المجتاح المغتصب بما في متناول قواهم يشعرون شعوراً حقيقياً باتحادهم في مهمة واحدة هي الانعتاق من ربقــة العدو .

وسيكشف التاريخ يوماً جميع الوسائل التي تمكنت بهـا الجرمانية المتهوسة المنقادة بروح جهنمي من ان تستخص طويــلا جميع الذرائع في اغارتها على كل من ضحاياها بمفردها . وقد يبدو لكم كما يبدو لي ان هذه الاسباب تختصر في واحـد وهو ان النار تسبق دائما رجال الاطفاء . ويبدو من جهة اخرى ان النـار ما برحت منذ قرن تصدر عن مستوقد واحد . ويصور لي ان لهذه الحقيقة المزدوجة ضلعا في صك الاطلنطيكي الذي قرره تشرشل وروزفلت كمبدأ للسلام المقبل في العالم والذي انضم اليه بالايمـان والرجاء جميع الشعوب الحليفة ، في هذا الصك الذي يقوم جوهره على نزع سلاح الشعوب المعتدية نزعاً تاماً

ونحن الفرنسيين الاحرار فخورون بان نساهم بما في ايدينـا من الوسائل ، في ما يبذله حلفاؤنا من التضحيات وفي مـا يحرزونـه من الانتصارات . ولنا ملء الامل في ان يجيء يوم تتكاتف فيه جميع موارد فئة الحرية في معركة حاسمة . ولكن العنصر الذي يضمن من الان فصاعداً اتحاد القوى المادية هو العنصر الروحي فبفضل هذا العنصر تؤلف الشعوب الحرة الان على تباين قواها وطباعها ومصالحها ومواقعها الجغرافيــة سلسلة متصلة الحلقات يستحيل تحطيمها .

الجنرال شارل دى غول رئيس اللجنة الوطنية الفرنسية الحرة

وهذا العنصر الروحي الذي يربط جميــع الشعوب المظلومة والمهددة بالظلم هو العزم المشترك على ضمـان الانتصار لحضارة

مؤسسة على حرية الناس وكرامتهم واطمئنانهم على نظام يقوم جوهر مبادئه على الغاء حق الفرد . فسنعمل بحيث يستطيع كل امرىء ان لا يصير المانياً اذا رفض ان يكون المانياً ، وان يتمكن كل امرىء من العمل بموجب معتقداته بدون ان يلقى اتضاعاً او شظف العيش ، وان يحق لاي امرىء ان يعيش مهما يكن عنصره وآراؤه حتى ولو كان عاجزاً او مريضاً او طاعناً في السن ، وسنعمل معاً بحيث يلقى على الفرد شرف تحمل تبعته امام نفسه ، امام الاخرين وامام الله ، وسنعمل اخيراً بحيث يقرر هذا كله ويضمن نهائياً حتى ولو استلزم النضال الحالي مقداراً ضخماً من الخسائر والآلام ولو بقيت شريعة الطبيعة الجرمانية في المستقبل ان تواصل بلا حد انتاج الطغاة القادرين على جر شعبهم الى استعباد الاخرين .

فالحرب التي نخوضها اليوم لم تقع مداهمة كضربة عارضة يوجهها القدر ، فهي استمرار للتجربة التي اجتازها العالم لعشرين سنة خلت . واذا استثنينا زيغاً او زيغين نجد ان الخصوم هم انفسهم وقد اصبحت وسائل التخريب اقوى وأسرع . ولكن ليس هذا الا مسألة ارتقاء ، ففي المرة الاخيرة كان ثمة طائرات وغواصات ودبابات .

وصفوة القول ان المأساة ذات قسمين تفصلهما فترة بين مشهدين ، وادوار الاشخاص الذين هم الشعوب المتحاربة تمثل طول مدة الواقعة . ولا يستطاع اصدار رأي سليم في الفعل العرضي بل في المجموع عندما نصل الى المشهد الاخير فيعطى الرأي في كل شخص بحسب اعماله . ولا نزاع في ان فرنسا قد صعقت باسلوب عسكري متفوق ، ولكنني اقول ان هذا التراخي وان يكن موجعاً لا يمحو ما كسبه معسكر الحرية بفضل فرنسا ، بفضل طلائعها ، منذ بدأت جرمانية غليوم الثاني ثم جرمانية هتلر بمهاجمة الكون .

واقول ان فرنسا ستستعيد مركزها الحربي ، وأقول ايضاً ان العالم في مساء آخر انتصارات حرب الثلاثين هذه سيعرف كرامة فرنسا اذ يكون قد راز مقدار جهودها وشهد جراحها .

بيد ان فرنسا المسحوقة المسلوبة المغدورة تعود الى نفسها وتعتدل وفي نفسها حقد هائل على العدو واعوانه . ان ثمة شواهد كثيرة ، شواهد دامية تدل على ان اتحاداً وطنياً ، ذلك الاتحاد الذي عاون مهمة جان دارك واحيى الجهد الحربي في الثورة الكبرى وكان عون بونكاره وكليمانصو ، يتكون رويداً رويداً في المقاومة . ويبدو لي ان في هذا مكافأة لبريطانيا النبيلة الباسلة التي ما برحت منذ عشرين شهراً تدعم بجميع الوسائل شجاعة حليفتها المصروعة موقتاً . ويبدو لي ان في هذا تزكية سياسية اولى ولكن باهرة لثقة حكومتها بالفرنسيين الذين ابوا ان يقنطوا من فرنسا .

وهذا الشعور نفسه وهذه الارادة نفسها اللذان يضرمان النشاط في الفرنسيين الاحرار واللذان سمحا بتجنيد قسم كبير من الامبراطورية والقوى العسكرية والبحرية والجوية وبنفوذ روحي وادبي كبير ، ان هذا الشعور وهذه الارادة ينبعثان في الاكثرية



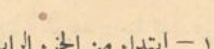
الكبرى من الفرنسيين . فرويداًرويداً تتكون مقاومة فرنسيةواسعة النطاق يحق لنا ان نعتقد بانها ستزداد تأثيراً في احداث الحرب حتى اذا دنا يوم الانتصار النهائي للحلفاء تضع الديمقراطية الفرنسية موضع النصر في مقام واحد .

تنظيم هذه المقاومة وادارتها ليس في البقاع المحررة فحسب بل في كل مكان من فرنسا والامبراطورية، هذه هي المهمة الاساسية التي قررتها الجمعية الوطنية الفرنسية ، وستقوم بهذه المهمة عن طريق انتداب الشعب الذي يؤيدها وتؤدي اليه حسابا . ستقوم بها بجمعها شتات الامة في الجهد التحريري من غير ان تستثني الا الذين يستثنون انفسهم . ستقوم بها على يقين من ان قضية فرنسا ، واريد بها ترميمها وسلامتها واستقلالها وعظمتها ، هي في الوقت نفسه قضية جميع الشعوب التي تقاتل مثلها لاجل الحرية . ستقوم بها في عزمها الراسخ على النضال بدون تحفظ الى جنب حلفائها الى ان ينسحق نهائياً شر الجرمانية المزمن . وستقوم بها يحدوها الامل في ان تضامن الشعوب سيفوز على التجربة ويعمل بحيث يتمكن كل امرىء في العالم من ان يحيا ويموت بعد ان يذوق عذوبة الحرية .



مترجمة عن مجلة فرانس اوريان

الجنرال دي غول



من الادارة

١ — ابتداء من الجزء الرابع رفع ثمن الجزء الى ٥٠ غ ٠ ل ٠ عوضاً عن ٤٠ .

٢ — يبقى بدل الاشتراك على حاله . ولا يقبل الا عن سنة كاملة بدؤها شهر كانون الثاني .
غير ان الادارة لا تتعهد بارسال الجزء الاول عن السنة الحالية لنفاد نسخه .

٣ — يدفع بدل الاشتراك مقدماً ، ولا ينظر الى اي طلب غير مصحوب بالبدل .

٤ — كل المقالات والابحاث التي ترسل الى « الاديب » لا ترد الى اصحابها سواء انشرت ام لم تنشر .

٥ — تكون جميع المراسلات الى العنوان التالي : مجلة « الاديب » صندق البريد رقم ٨٧٨ بيروت — لبنان .

ناسك العتقة (١)

بقلم احمد راسم

(١)

على جبل في مصر يتنفس شكل رمسي متجاوز الحد نحتته الشموس والرياح : هو « المومياء المضجعة »، امرأة العتقة التي يعيد جانب وجهها الى الذاكرة العذارى المصريات بذلك الافتتان الساذج بالحياة الذي ينيرها من الداخل . ويدور حولها خيط ماء سردابي مخنوق الخرير . . .

وهذا الشكل ينعكس على افق المغيب كأنه يزين على مدى العمر حالة فريدة ، هي الاندثار .

السماء دائماً زرقاء .

***

هندسة مؤنسة تتخذ شكلا جسدياً لتصبح قلوبنا اشد تأثراً بها .

وهذه المرأة ليست ميتة بدليل انها تتنفس كالحجارة عن حياة داخلية .

ولكن محظور عليها ان تفتح شفتيها ، محظور عليها ان تنهض لتختلط بالاحياء . . .

وتحت قدميها يدمى واد ذو تراب احمر موحل .

وقد قص علي رجلان اجتمعت بهما يوماً قصتها فاحببت قصة الجبل ذي القلب المسحوق .

***

حجارة بركانية موجهة بقوة صوفية وحية معا ، تلف باتجاه حركتها الجرم الطائع للجو والمياه . . .

قوة مركزية لم يحسن اي موسيقي التقاطها بعد ، تجبر حركة الخطوط المتوترة المعوجة على ان تدور بقدور لا مرد له كقدور الانجذاب . .

فهذه الصخرة الحمراء تحييها موجات تؤودها في سكونها وتنفخ حجارتها الخشنة بجلبة صامتة . .

صمت تتردد الاصوات فيه كأنها تخشى ان تحطم جدرانا من البلور . . .

وهكذا لن يعرف احد منكم هذه القصة لان الناسك الذي قصها علي آكاته الرمال :

(٢)

في الجبل الاحمر قال لي الناسك الذي اجتمعت به بعد ان استشار قبضة من الرمال :

« ان مطر الغيوم الوردي المشتعل بالمغيب حملك يوماً على الاعتقاد بان الجبل يدمى لان قلبك المحطوم مشقوق كرمانة مجروحة سقطت من الشجرة على حجر .

« اصغ في ضوء المساء الى النبات المتنفس وانظر الى يد الذي يدير الكرى ويجذب الحب في الفضاء . . .

« فتتعرف الى ضوء من الحلم كأنك في ليلة قمراء ، وتشعر بطراوة الشفاه العارفة تمر باعراقك . . .

« فيم لا تعاشر حظية حسناء ؟ فتنظر اليك بفم مخضب . . وتترجح الغيوم تحت دفعة الرياح . . وتتعرف الى هيجان النفس اللطيف الشادي الرصين كثنا من الشبه اهيف ، لين كحجر اليشب . .

« وتنسى اللؤلؤة الشابة التي تصاحب احلامك ، اللؤلؤة المستديرة الحية . . »

هكذا تكلم ناسك العتقة وهو رجل مسن ذو وجه كوجه الوعل يحب حفيف الريح في المساء على الكثبان . ثم صمت .

(٣)

وقال المجنون :

« كانت العذراء الشابة ذات الذقن المحفورة بابتسامة عذبة كحجر ابيض ، ولكن ثرثارة كحقل من الشقيق حين يقرع الوانه في الشمس . .

« وكان صوتها ينسج لي في مخمل الليل وشياً دقيقاً كالوشي الذي كان على اردية امي . . وكان ذلك عذباً كذلك النهر الذي نبض فيه انعكاس الشجر ، ذات مساء . .

« وكان لشعورها لون رمل الشاطىء بلله الموج .

« ولئن كان جبينها شاحباً فلأن كآبة النجوم اقامت بشعورها . . ذات مساء .

---

(١) راجع في الجزء الثاني من « الاديب » قصيدة « مجنون العتقة » للشاعر نفسه .

« وكان صوتها ينساب في العروق كدوي الامواج ، في امسية العواصف ..

« وحتى عندما تضرم قهقهة ضحكها القاعة كان الجانب المظلم من نفسها يرى دائماً في عينيها ..

« وفي عينيها اللازورديتين كأن غابة تتنفس فيهما خيل الي اني ارى آية من القرآن منزلة باحرف كوفية كأنها في جذع شجرة . »

وقال المجنون ايضاً :

(٤)

« في الساعة الرهيبة حين تفتح الاشجار اوراقها الصلبة على الطرق المنفردة مقدمة نفسها لهبوط الغسق الفاتر ،

« فيم لم تأت فتقدم الي سلة الثمار التي هي جسدها لأبل بها غليلي ؟

« فيم لم تفعل ذلك وهي تبتسم كما لو كانت تعطي ولداً عابراً رمانة على وشك ان تنفجر حبات ارجوانية؟.

« لو انها فعلت لكنت طلبت ان تكتب لها بفن حاذق مخطوطة شعرية انشدت فيها – بلغة لا ند لها لايقاعها الموسيقي – عينيها المتبدلتين كماء جار يتموج بالظل والنور ، ولحظاتها التي تجثم علي كخد طفل حرد . »

(٥)

يقطن ناسك العتقة كوخاً قديماً مع تذكار العذراء العزيزة على قلبه . وفي عينيه اليائستين المنطفئتين ماتزال ترى نغمة الحسرة الليلكية .

قال بعد ان امتص ورقة نعنع :

« خط من النور لا يدرك يدور حولها ويلاطف اشكالها بهدوء ..

« كانت هذه العذراء مكتوبة في بجتي بطيوفها الملونة وفوراتها التي كأنها مذهبة بآوية داخلية ..

« غريبة هذه الحلاوة الحيوانية الرقاصة التي تحرس الباب المغوي للشموس الداخلية والسكرات المجهولة ..

« هذه القسمات وهي بهذا المقدار من انفة الشهوانية ، وهذا الانتقال الصامت لذراعيها الى الكتفين لايمكن ان تكون الاصنع خالق تقي ..

« بشرتها كماء صاف هبطت عليه الوان شفافة لا تعكره ، وايستطاع رؤية الكنوز التي فيه .

« هكذا رأيت في روحها المشربة بالطراوة زهرة سامية مفترة كالخريف ..

« جسدها كغرس يحمل ثماراً كثمار الغراس الاخرى ولكنها الذ ويلفها دائماً حفيف من المشتهيات ..

« وهذا الجسد الذي تهيم فيه الشهوة مع النور يملك طمأنينة تسبة من الحجر ، والتضني الحلامي وهي تلقى تلك الحواجز المنيعة القائمة دون هذا الحجر ..

« غريبة هذه الحلاوة المتموجة بمرونة وخفة !

« انني لأحلم احياناً بعذراء احبها ..

« عندما تنحني لتقبل يدي تبدو كأنها قصبة عاكفة تبحث عن قطرة الندى في العشب .. »

هكذا تكلم ناسك العتقة . ثم صمت .

(٦)

كانت الساقية المهجورة فرحة باشة كخربة .. وليس على الناعورة الا غراب

وكانت بضع اشعة كأنها تستطيب التأخر على قمة شجرة الجميز . وكان الظل ازرق ... يخفق فيه شيء من الحنو كتذكار حب مجهول ، كتذكار ضمات .

فاين انت ايتها القروية الشابة التي كانت تطرب فتاها بموال ساحر في يوم قيظ فيما الساقية تدور ؟

وقال ناسك العتقة :

(٧)

« لو ان حبيبتي الزنبقية ذات النظرات الغير المحدودة التي يأكل فيها اسود العين ابيضها في ظل خناجر الاهداب المحدبة عدلت عن زيارتي في الحلم ،

« لاصبحت المجنون الذي يسعى للاهتداء الى الشمس في الجبل الراقد في الليالي الرمادية ..

« ولكن العذراء التي احبها عذبة كاعتراف متموجة ناعمة كالهواء المنسوج ..

« وكالصور المتحركة تجيء كل مساء ، وفي روحي تتطور على مهل بحلاوة عذارى المياه التي ينشد في حركاتها الملتوية الانسجام المستمر لمراكز الثقل فيها ..

« واياؤها الساكن شبيه بإيماء الارواح حين تطوف بين المائتين ..

« ان سليمى تسبح بهدوء في جو حلمي ، ومأخوذة في قنوط التقطيع الروحي الذي يمزقها تقول لي كلمات لا صوت لها، كلمات كأنها في الاحلام، سكنات تفهم كالدموع والقبل ..

« وعندئذ ينير لم ينبض الدم فيه ذلك الكوخ المبني في ظل غيمة عبرت ..

« ولكن حين يرتعش فمها في الماء كزهرة ، مع هدب الغيوم المفضضة، اعود لا افهم ..

« فكتفاها الدقيقتان تنتهيان بيدين طريتين ممتلئتين مخالبي كالازهار ولكن قوى الغريزة تجول فيهما بشدة عمياء ..

وجميع لآلىء البحر الاحمر والزمرد واليواقيت المختبئة في الجبل تنتظر ريثما اذهب فاقطفها ... لها

هكذا تكلم ناسك العتقة . ثم صمت .

(٨)

وقال المجنون :

« لتلك التي كانت تجذف معي على الامواج الغير المنظورة ، حول الخليج المضاء ، سائلية الزيوت الزهرية وصقالة اجساد التحظية ..

« لقد وجدت معها السعادة ..

« فثمة ارواح تخاطب الجسد اكثر مما تخاطب الروح لترتبط بدون كلمات المرئي بغير المرئي ..

« وكالملائكة التي تلتقط من قمة الغيوم الانغام التي يعجز المائتون عن التقاطها شعرت حبيبتي الزنبقية من بعيد بان تواقيع قلبي تدرج اليها موجات قوية ..

« وهكذا جاءت الي متمهلة مع الحفيف الحريري المتصاعد من اغصان النخل الشائطة لتضيف حجراً ابيض آخر الى جبلي وتحمل الازهار القابلة الذبول ..

«فاحيي وجودها براعم الماضي مازجاً اياها في ذكراتي بعطر العنبر القديم الذي كانت تنفثه ذراعاها العاريتان . . ذراعاها كعمودي رخام ابيض .

— ولكن قل لي ايها الرجل ياذا الحظ المظلم، يا من لا يزال جرحه مفتوحاً ويجهل معنى الموجات الخافقة في الاعماق، قل لي ماذا تنتظر لتترك في ليلة قاتمة هذا السهل البائر المغطى بالقبور ؟ ماذا تنتظر لتجيء . فتسكن هذا الجبل ما دامت السعادة والراحة تقيمان به ؟

وقال الاعمى ايضاً :

« اصغ الى النجوم .. »

فقال احمد عندئذ :

« ان اكن انتظر ، ان تكن عيناي تلمعان كزجاج الجوامع القديمة التي تشعلها الشمس في ساعة الصلاة الرابعة ..

« فلانه بقيت في نفسي صافية وليلكية نظراتُ فتاة كانت خصلة من شعرها تحجب قسماً من صدغها ، وقد قالت لي مساء يوم كلمات غامضة ولكن اخاذة ..

« وهكذا، في سكون الاشياء وفي الساعة التي يطفيء فيها الغسق الحجارة الاخيرة، سأبتسم بعد طويلا في انتظارها .. »

وقال الناسك ايضاً :

« كما ان الشجرة وثمارها ،

« اوراقها وغصونها

« موجودة في البذرة،

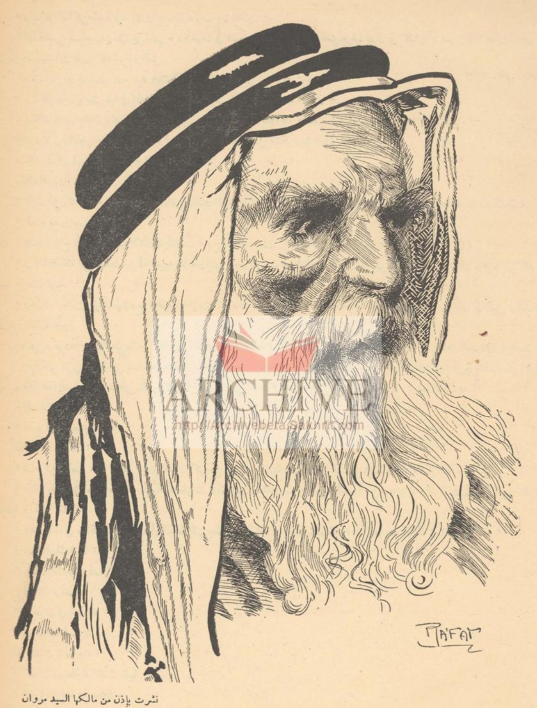
« في البذرة الصغيرة ..

ثمة كلمات يا صاح ،

« كلمات بسيطة ، كلمات نقية

« تحتوي الراحة والسعادة .

« وسأذكر طويلا كلماتك التي تشتمل ايضاً على ما لا حد له من الموسيقى .. »



نشرت بإذن من مالكها السيد مروان

القبرة والسنبلة

بقلم الياس خليل زخريا

◆

لما حلت القبرة ، قبيل الامس ، على البيدر في الطراوة والبرودة ، حركت السنبلة رأسها ، وتفتقت يقظى تغمر الهواء ، وتهمس في سمعه المراح همساً مشوقاً .

ثم ضمت بعضها على بعض ، واغفت مثلما تضم الوردة عند الغياب على روءياها الناعمة الطيبة ، اوراقها الواحفة، مخافة ان يفر منها في الليل ، زخر الطيب ، فلا يأتي الصباح وعلى شفتيها للمشتهي ، هفة .

لقد قالت السنبلة الخضراء للهواء :

... وردائك المحبك بمثل قطف الموج ، المسرح بنسيج السحاب ، المدفأ بهدال الضوء ... باسم خضري .

.. ويوم توكأت علي ، فخفقت على ذراعك خفقاً .. قل لجارتي القبرة التقية ، بما المكمن منة على جناحها ، ان تصلي لي ، معها طلبة ، ليطول عهد الربيع ، فتسلم عندي ، وان برهة ، هذه القامة المشوقة ، والتربة الندية ، والاختلاجة الحية ، والرأس الطرىء . فلا تمر انت بي ، الا وتجدني قائمة نضرة ، انتظرك واميل معك ميلان الفكرة مع الخيال ، فلا تتكسر لي في العناق ، عقدة ظهر .

ما بال جارتنا تستيقظ في كل غدوة ، فتنتصب فوقي تصلي وتشتهي ايام الحصيدة .. قل لها يحق جناحك .. سأثمر حتماً ، وسيقسو النورج والمنجل علي ، وستذريني اصابع المدراة الملساء .. وستكون حباتي طعاماً لمنقادها الجشع .. فلتشركني على الاقل في طلبة .. ان لي ، فوق ، بعض ما لها ..

ويمضي الهواء يلوح بأعطافه المترهلة ، ثم يتدفق في جناحي القبرة ، ويهمس شيئاً . فتزقزق ، وترنق ، وتصفق ، وتنزل تحط ، ثم تنتقل متزاهية ، ثم تعود الى الصلاة ، فوق رأس السنبلة ، بمرح ونشاط .

لقد يبست السنبلة ، ونضج حبها ، واستوحش التراب ، بالحشيش ، وودعت النضارة والمواهة ، وامتد خيط اصفر من جبة الموت على ثياب الحقول ، وبدا التعب في عروق الهواء ، فتثاءب في الطريق الثوباء الثقيلة والقبرة تزقزق ، وترنق بشوق ، وترفع رأسها عالياً تصلي بنهم لمقدم الصيف ، ثم تسقط عند حافة البيدر بين الحزم المكدسة ، تغل غلاً ، وتنقر نقراً عجولا .. ثم تسمع من الوراء وقع دعسة ، فتفر وتهوي تتخبط في دمائها الحرى .

وراح الصياد يفتش عن طريدة اخرى .

لقد مضى عهد الحصاد ، واطل زمن الري ، ونبتت سنبلة في الحقل ، فاخضرت اوراقها بسرعة عجيبة ، وتهللت نضرة غضة .. فبكرت ذات يوم ، قبرة ، فوقها تصلي ، فر الهواء يتمايل دلالا يحل اصداء الزقزقة والصداح .

روى الفلاحون في تلك المزارع البعيدة انهم لم يشاهدوا قط في حياتهم سنبلة طويلة كتلك ، تكبر في اللمحة القصيرة فتراً ، ورأوا ان بذرتها لا بد غريبة تمص غذاء غريباً وتحلم حلماً غريباً .

وكانت كلما طارت القبرة فوقها مطت في الفضاء رأسها المستطيل مطاً كأنما تريد ان تنكز وجه القبة او حنية النجوم .

لقد تمتمت فاستجيب الدعاء ..

هوذا عهد الحصاد على ابواب الحقول .

والسنبلة اليابسة تخشخش بغبوها .

لقد ماتت القبرة جوعاً وانقطع نسل السنابل .

وعاد رفاقنا الصيادون والحصادون من المزارع العالية ، يلعنون المحل والقحل ، ويصلون لخصب المواسم المقبلة .

الياس خليل زخريا

آلام الحياة

بقلم توفيق حسن الشرتوني

منذ ايام ذهبت لعيادة صديق انهكه الداء، وامضته تباريح آلامه . فرأيته يتقلب على فراشه الوثير كأنه ملقى على الجمر . يصعد الزفرات تلو الزفرات ويرسل الآهات تلو الآهات وعبرات الشدة راكدة في قرينة عينيه واغبرار الموت جاثم على وجنتيه . ولما شاهدني حيال سريره حدقت عيناه الزائغتان بي تحديق الضائع عني . ولما عرفني زادت نفسه انفعالا واشتد صدره خفقانا وترامت عبراته الراكدة على اسارير وجهه فاخذت اعالجه ببلسم الصبر واعلله بقرب الشفاء لاحيي فيه ميت الامل . وما زلت به حتى ملك نفسه بعض الشيء، ثم رأيته بعد هنيهة يجاهد في لم شعثه واستجماع قواه محاولا ان يتغلب على ضعفه ويتمكن من اسانه الذي لعثمه الداء . فتمكن بعد لأي من رفع رأسه قليلا واجترار هذه العبارة :

« كل ما في الحياة لا يوازي ساعة من الالم ، من هذا الالم الحاد المزدوج الذي اعانيه، الم الداء الذي لا يطاق والم وحشة الفراق ، فراق صبية ستعصف بهم عاصفة اليتم قبل ان يبلغوا اشدهم »

ثم خانته قواه فسقط على فراشه يتخبط تخبط الذبيح .

فخرجت من لدنه كسير القلب شديد الانفعال ثم اخذت اسأل نفسي : لماذا خلق الالم ؟ وما هي دواعي وجوده ؟ لماذا يرافق الحياة من المهد الى اللحد ، فلا تنفلق خلية من رحمها بدونه ولا تعيش بدونه ولا تموت بدونه ؟

« لماذا » كلمة استفهام يلقيها المرء امام كل سر مغلق عليه . فالحياة كلها « لماذا » في نظر الباحث المدقق عن غاية وجودها، والممحص المتسائل عن سر بدئها ونهايتها .

لقد كتب للانسان ان يتحمل آلام جسده وآلام ذاته العاقلة وآلام ادراكه العاطفي . فكلما تدرج في سلم الارتقاء تدرج معه الالم ، كأن الالم وجد منذ البدء ليرافق هذه الحياة في مختلف صورها واشكالها ، فيضمر بضمورها ويتسع باتساع آفاقها ويتنوع وفقاً لتنوع حاجاتها ويشتد كلما اشتد شعور الانسان في مسؤوليات هذا الوجود .

فالاحياء جميعهم يتألمون بقدر ادراكهم وشعورهم . فالنبات يحس الالم اكثر من الجماد ، والحيوان اكثر احساساً من النبات ، والانسان اشد ألماً من الحيوان ، والمتحضر اوجع نفساً من غير المتحضر .

ان صلة الالم بالحياة هي صلة جوهرية ترجع الى مصدر الحياة الذي يعنيه مصدر الالم ، فاذا لم تتحرر الحياة من ذاتها لا تتحرر من آلامها . ان نبضات الحياة هي نفسها نبضات الالم ، والشعور بالالم هو نفس الشعور بدبيب الحياة واختلاجها .

هذا ما يتبينه المرء بجلاء كلما دقق النظر في مواليد الكون ، فرأى بام عينه ان كل ما تلفظه دنيا الارحام يستقبل فجر دنياه باكياً . وما هذا البكاء سوى اول صرخة من صرخات الالم المنبثق من الحياة والمجبول بطينتها . فالالم يحتل قلب الجنين ودماغه منذ يتكون له قلب ودماغ .

فهل كان وجود الالم مفيداً للحياة ام هو عبء عليها ؟

من يتفقد هذا الكون ويتدبر احياءه ويدقق على الاخص في درس الحياة البشرية ويستطلع ماضيها المتوغل في القدم ويراقب مختلف مناحيها ومجمل تطوراتها في ثنايا العصور ، يرى جلياً ان وجود الالم كان السبب المباشر في تقدم الحياة ورقيها . فلو لم يكن الشعور بالالم قوياً في الانسان لما اهتم بحفظ كيانه في عهد همجيته ولا سيما وهو اضعف قوة من كثير من الوحوش واقل منهم جلداً على احتمال نوازل الطبيعة . ولولاه لما انتقل الانسان من دياجير الظلمة الى فجر النور ومن عصور الوحشية والجهل المطبق الى عهد الحضارة والعلم .

ان الشعور بالالم كان الحافز الاول الذي جعل الانسان البدائي يشغل دماغه لاجل حماية نفسه وايجاد ما يملأ جوفه، فاخذ

يشحذ ذهنه ليتغلب على الم الخوف الذي كان مسيطراً عليه من جراء ضعف بنيته تجاه الضواري المفترسة التي كانت تهدد حياته وحياة اطفاله . فتوصل الى اختراع الآلات ليتقي غوائلها وليتمكن من قنصها فيقتات بلحمها ويتدثر بجلدها . فتكشفت له معادن البرونز والحديد واستعمل منها سلاحاً جعله بالرغم من ضعفه العضلي اقوى المخلوقات على الارض . ثم فتق له ذهنه الاشتغال بحراثة الارض وتدجين الحيوان فاستغل موارد الزرع والضرع ليدرأ عنه الم الجوع ، ثم بنى الاكواخ والبيوت ونسج الصوف والقطن وحاكها لباساً ليبعد عنه الم الشعور بالصقيع والبرد . ثم شيد القرى والمدن واقام الجسور والخزانات واسس المعامل والصناعات ليؤمن حاجات نفسه وطمأنينتها . وجابه القوى الطبيعية بالعلم الاختراع وسخرها لخدمته بعد ان كانت وبالا عليه . كل ذلك جاء به ليدرأ عنه المتاعب والالام . وهو لا يزال جاداً وراء الاستزادة من المعرفة واستكشاف اسرار الكون بغية الوصول الى هدف اجدى نفعاً واوفر نتيجة .

ان الالم نعمة لا نقمة وقوة لا ضعف فكلما تضاءل الشعور بالالم تضاءلت قيم الحياة وكلما ازداد ازدادت قيمها ومعنوياتها .

لقد تألم الانسان على الارض ففتح له الالم نوافذ ذهنه . تألم جسده المادي فشرع يبحث عن اسرار المادة ليجني منافعها ويتجنب اضرارها . وتألمت نفسه العاقلة من كثرة ما شاهد من ظلم الانسان لاخيه الانسان ومن شدة استبداده واستئثاره وتفاقم اجرامه ففتح له الالم باب الوحي ومغلق الشرائع . فالهم الدين واوتي الشرائع وما جاء الدين الا لاحقاق الحق وازهاق الباطل وما اتت الشرائع الا لنصرة المظلومين والمتألمين .

وتألم البشر طويلا من حكوماتهم المستبدة التي كانت تستعبدهم وترهق افرادهم وجماعاتهم وتلجم افكارهم وتقيد السنتهم فثاروا عليها وزعزعوا اركانها وقلبوا نظمها الاوتوقراطية العاتية رأساً على عقب وشيدوا على انقاضها النظم الديموقراطية التي تعد بحق افضل شرع سنه البشر حتى الان لضمان حقوقهم وتأمين حرياتهم وصيانة ارواحهم .

فكلما عن لدعي متسلط ان يقهر العالم ويحد من حريته ويستأثر به لا يلبث ان يسمع صوت الالم يخرج من اعماق الصدور ويدوي في غضبة الموتور فيحرك الاعصاب الجامدة ويثير الهمم الخامدة ويوقظ النفوس الراقدة فتندفع كالسيل الجارف للقضاء على كل من طغى وبغى وصبغ الارض بالدماء .

ان الآلام التي يتحملها البشر في تعاقب كفاحهم وتسلسل حروبهم هي التي تخلق لهم بعد كل حرب وكفاح اثراً نافعاً لا عهد لهم به .

فكما ان الدموع تطهر المآقي من ارجاسها هكذا الالم يطهر الحياة من ادرانها . فالانسان لا يجني شيئاً من دنياه ما لم يؤخذ باشواكها ، ويدم بقتادها .

ان الم الطموح والم الغيرة والم الحرمان والم اليتم والم الثكل والم الفقر وكل الم يشعر به الانسان على الارض ، سواء اكان مادياً ام روحياً ام ادبياً ام عاطفياً ام اجتماعياً ، فهو بجمله يرفع من شأن الحياة ويعزز انتاجها .

فلولا الشعور بوطأة الالم لما وجد الطب واكتشافاته ولا العلم وصناعاته .

ولولاه لما وجد المشترع ولا الفيلسوف ولا الفنان ولا الشاعر ولا الاديب ولا الموسيقي .

ان تراث الانسانية كله يرجع مصدره الى الالم . اجل الى الالم الذي وهب الحياة البشرية اجمل ما فيها من فضائل واروع ما لديها من مآثر .

يا اخي الانسان : اجرع مرارة الملك بصبر مهما تكن المرارة حنظلا ، واحمل خطبك بشجاعة مهما يكن الخطب فادحاً .

ان وراء مرارة الآلام وفداحة الخطوب ترتع قوى الحياة التي تزخر بالمواهب الراقدة في اعماق النفس . خض معترك الحياة ولا تدع جحافل الكوارث والآلام تملك زمامك فتطحنك طحناً . املك انت زمامها وامسك بيدك مقودها فتصبح عدة لك لا عليك وتمشي صاغرة في ركابك وتحملك على منكبيها الى ينبوع مواهبك .

فاذا شئت ان تروي ظمأ نفسك من معينها وتملأ اناءك من رحيقها وتسقي العطاش من كوثرها فليكن الالم استاذك الاكبر . فالالم مهبط الوحي ومبعث الالهام .

توفيق عبده الشرتوني

اللعب والطفولة

بقلم منير النصولي

لقد اختلفت الاراء في تحديد اللعب، ونتائجه، وضرورته، فقال « شيلر » انه راحة وخلق من الوجهة المعنوية والجسمية وادعى «ستنلي هول» انه دور تهيئة لتكوين الغرائز التي يتم ظهورها على طريق الحياة، واكد «كار» ضرورته في سبيل تنمية الاعصاب، بينما ذهب بعض مذهب المعتقدين بان اللعب ان هو الا مران لا بد منه يمارسه الصغير كيما يتحضر الى دور الرشد. وزعم بعض آخر ان اللعب يتأتى عن زيادة قوى كامنة تتصرف في هذه السبيل. واذا ما اردنا ان نتحقق من الاهمية التي يعلقها علماء النفس على هذه الظاهرة فلنرجع الى ما اعلن «كلاباريد» في قول حكيم: « ان الطفل لا يدرك عهد الرجولة الا باللعب والمحاكاة ».

كل هذه الاراء العديدة، وان اختلفت في تحديد هذه الظاهرة، اي اللعب، فهي تتفق في ضرورته، كيما تعد نشئاً صالحاً للحياة قوي الاعصاب، رقيق الاحساس، واضح المعالم في ادراكه.

هذه كرة تركض وراء كرة، كما لو انها تلاعب فأراً، وذاك كلب يعض على حجر. وهذه طفلة تلعب لعبة الام، فتحاول عبثاً اطعام دميتها. وذاك طفل يمتطي عصا والده ويصهل قبل المسير، او انه بالاحرى حسب مقتضيات العصر يحول كرسياً الى سيارة فيصرع امه بضجيجها المصطنع.

وانه لمن المحقق ان الحيوان كالانسان يندفع في لعبه بشغف ولذة، ونحن نشاهد في كل يوم فصولا عديدة من ذلك، فاذا ما تنبهنا ولاحظنا ما يجري، رأينا ندرك حقائق قد نجهلها كل الجهل، لقلة معرفتنا بنفسية الطفل.

هوذا الصغير يتفرج بزجاجة حمراء، فيؤخذ بمناظر الطبيعة وقد اصطبغت بنور احمر يدخل السرور على قلبه، فتحدث مشاركات وجدانية تنمي في نفسه احساس الفنان الذي يعطي من ذاتيته لوحة فنية اكسبتها ريشته مسحة رونق وجمال، فيشعر طفلنا بمقدرته الشخصية، وقد سلطها على ما حوله، فأخذت تنعم بمظاهر مختلفة. واذا ما احببت ان تتبين ما يعتري الفنان من شعور عميق في عالمه الملهم وهو يحقق لوحة، فطالع « التحفة الفنية» الخالدة « لبلزاك » عندئذ يمكنك ان تتصور حالة من حالات الشعور عند طفل وهو مأخوذ في لعبه.

يكسب اللعب صاحبه مهارة يدوية وعقلية، وقد اكتشفت مرة تلميذاً يكتب على اللوح بيد تكاد تتعثر بالطبشور، فتأكدت عندئذ ان ذلك الطالب لم يلعب مرة « بالكلل ». ليتنا نقدر هذه الظاهرة حق قدرها، فنترك الحرية لهؤلاء الاطفال، كيما يتوصلوا الى ادراك حالاتهم النفسية فيكون نموهم نمواً طبيعياً.

لقد افسدت تلك الام على ابنتها الصغيرة جزءاً من العطلة المدرسية، لانها رفضت ان تضع لصديقتها في حقيبة لها، دمية مشوهة كانت تفضلها على كل شيء.

ولقد حمل ذلك الصبي، عدة سنوات، حقداً على ابنة عم له سخرت من كلب اجرد قذر كان حبيباً على قلبه، لملاعبته اياه في اكثر الاحيان.

حقاً ان في الطفولة دوراً من اخطر الادوار يصلح الفرد بصلاحه، ويفسد بفساده: فيه ينسخ صغيرنا صوراً مصغرة عن الحياة، تتكيف لها نفسه حسبما تقضي الظروف، فيشعر شعوراً قد ندرك فيه شيئاً يماثل احساساتنا الباطنة، او اننا نبعد عن فهم ما يحدث في نفسية ذلك الصغير، فيبقى غامض السر، تكتنفه خفايا السنين.

منير النصولي

نوادر ابرهيم باشا المصري في بيروت

بقلم شفيق طبارة

كانت الساعة الخامسة صباحاً عندما خرج ابرهيم باشا من (بيت الدين) وسار في موكب رائع من الفرسان يريد بيروت . ولما شارف اسوار المدينة وقعت عينه على حية رقطاء فهم العبيد الذين كانوا يواكبونه بقتلها فنهم ، وما كان الا ان استل غدارته وصوب فوهتها الى رأس الحية فاردها . ولقدرأى المتشائمون في هذا الحادث فألا سيئاً وتهامسوا قائلين : ما هذا الفتح الذي يفتتح بقتل حية (١) ؟

في ذلك اليوم كان اهل بيروت في عيدشامل برزوا فيه بكل ما عندهم من زينة ، وخرج متسلم البلد مع رجال الحكومة ووجهاء بيروت الى ظاهرها لملاقاة ابرهيم باشا . ولما اقبل نزل عن جواده وسلم على مستقبليه ودخل معهم المدينة . وكان الناس قد ازدحموا في الطرقات المفضية الى السراي بينما كانت النساء على سطوح المنازل ومن النوافذ يرسلن الزغاريد معربات عن فرحهن وابتهاجهن بقدوم الفاتح المصري العظيم .

اوى الباشا في مساء ذلك اليوم الى مضجعه قرير العين بما شاهده من حفاوة اهل بيروت ثم نهض مع النهار وجلس في ايوان سراي فخر الدين يستقبل سراة المدينة الذين جاؤا يؤدون له تحية الولاء . وكان بين جماعة التجار رجل يقال له الدحداح كلم الباشا عن معمل النسيج الذي انشأه في ضاحية بيروت وفي المحلة المعروفة اليوم باسمه (حي الدحداح) ودعاه الى زيارة المعمل . فلبى الباشا الدعوة وعين له الساعة واليوم . وفي الموعد المضروب خرج هو وحاشيته ، فاخذ ابرهيم باشا يتأمل في قطع القماش المنسوج ، وتناول قطعة وعرضها على بعض بطانته مثنياً على صناعة نسجها ، فداخل الحاشية شيء من الحسد لعطف ولي النعم على الدحداح وقال بعضهم : « ان وجه القماش (لحمته) من الحرير ولكن قلبه (سداه) من القطن » . فالتفت الباشا الى الدحداح وقال : « يقولون ان وجه القماش من الحرير وان قلبه بطال لانه من القطن . » فتبين الدحداح الحسد في وجوه افراد الحاشية فقال : « وحياتك يا مولاي ان الوجه والقلب كليهما من الحرير ، ولكن البطانة (الحاشية) . . وحدها هي البطالة لانها من القطن ! »

ففطن ابرهيم باشا لحسن التورية وتبسم لهذا التعريض اللطيف .

وخرج الباشا ذات يوم من بيروت في جماعة من قواده يريد (بحرصاف) حيث اتخذ معسكره . وبينما هو في بعض الطريق اذ بصر بامرأة قروية تحمل على رأسها محلوباً فارغاً وهي تبكي بكاء شديداً . فاستوقفها وعرفها نفسه فاستجارت به . وسألها عن خطبها فقالت : « لقيت جندياً من جنودك ساومني على محلوب اللبن ولما اتفقنا على الثمن تناول المحلوب وافرغه في جوفه ثم انصرف . وانا امرأة فقيرة ذات اولاد اقوتهم بثمن اللبن الذي اغتصبه الجندي » . فقال الباشا : اتعرفين الجندي اذا رأيته ؟ قالت : « نعم » فعرج على المعسكر واستعرض الجند امام المرأة وما وقعت عيناها على ذلك الجندي حتى عرفته فاشارت اليه وصاحت : « هذا هو يا مولاي » . فقال الباشا للمرأة : « سأبعج بطنه ، فان سال اللبن من جوفه مضى لسبيله والا اعدمتك بعده . » فقالت المرأة : « قد حللت » . فادار الباشا طرفه الى احد اتباعه وقال له : قم فاضربه فاستل الرجل خنجراً من حزامه وطعن بطن الجندي فسال اللبن . فقال الباشا للمرأة : « صدقت يا امرأة فانصفناك . خذي ثمن اللبن وامضي ، فليس عليك بأس الان . وليكن ما جرى عبرة للجند ورادعاً يصدهم عن اغتصاب ارزاق الناس (٢) » .

وكان من عادة ابرهيم باشا ان يتنكر ويندس بين الرعية يريد بذلك استجلاء حقيقة اخبارهم وخبيئة امورهم وقد وردت في ذلك روايات كثيرة اثبت هنا ما حكاه رجل فاضل من آل حصرم عن ابيه عن جده الحاج علي قال : بينا انا جالس ذات عشية في دكاني بسوق النجارين في بيروت اذا بدرويش ربع القامةمهيب المنظر ينبيء رواؤه انه نشأ في النعمة قد وقف بالباب مسلماًفرددت عليه السلام واوسعت له المكان وتلقيته بالاكرام وامرت له بقهوة فشرب ثم اخرج من جيبه غليوناً صغيراً وجعل يدخن بهويحادثني في احوال البلاد حتى افضى بنا الحديث الى الولاة والحكام فتنهد ، فسألته عن حاله فقال : « بالله دعني ولا تسل عن حزني فأنه شديد وخصمي عنيد . قلت : « ومن خصمك ؟ » قال : « خصمي الباشا » . قلت : « وما صنع الباشا ؟ » قال : اخذ ولدي الوحيد وكان عوني وسندي وجنده في جيشه الجديد وجعلني اتحسر عليه . فقلت : لقد نطقت بالصدق ، فان ابرهيم باشا رجل صارم وحاكم ظالم ، وقد جند اكثر اولادنا وجعلنا نتحسر عليهم وما زلت احادثه هذا الكلام واطعن في ابرهيم باشا وادعو على حكمه ان يزول

---

(١) لامارتين (رحلة الى المشرق) .

(٢) طالعت قصة تماثل هذه الحادثة في كتاب (غرر اخبار ملوك الفرس وسيرهم) للثعالبي مسندة الى احد ملوكهم فاما ان تكون القصة صحيحة واما ان يكون رواتها مقلدين للخبر القديم .

حتى تغيرت حاله . ثم نهض وودعني وانصرف . وبعد ساعة عدت الى منزلي وجلست مع اهلي نتناول الطعام واذا بالباب يطرق فنظرت من خصاص الباب واذا بانسان يسأل : اهذا منزل الحاج علي حصرم؟ ففتحت الباب وخرجت اليه فقال : « اانت الحاج علي ؟ » قلت : « نعم » قال « اتبعني . » فلما قال اتبعني خفق قلبي وعلمت انه امر عال . فلبست ثيابي ومضيت معه الى السراي فدخل بي بهواً فسيحاً فوجدت رجلا مهيباً جالساً في صدر المكان وحوله بعض خاصته . فتأملته فاذا هو الرجل الذي زارني في دكاني . فزاد خوفي فتقدمت اليه وقبلت الارض بين يديه فقال : « لقد بلغني انك تطعن في حكمي وتشكو من جوري وقلت عني ما قلت . فخبرني بما رأيت من ظلمي وعدواني ، وما حملك على هذا الكلام . » فقلت : « جعلت فداك يا مولاي ، ما الى هذا قصدت وانما قصدت مسايرة ذلك الدرويش اللطيف الظريف . وتعزيته عن حزنه الشديد على فقد ولده الوحيد . » فاعجب بقولي وصفح عني ثم قال لي « من هم يا حاج عيال بيروت الذين لا معين لهم غير الذين جندتهم ؟ فعددت له ثمانية . فوجه رجلا من اتباعه ليستطلع خبرهم . ولما عرف مني الصدق امر باعفائهم من الجندية واعطاني صرة فيها خمسة اكياس ، تحتوي خمسة وعشرين ديناراً على سبيل الانعام ، فوالله ما رأت عيني احلم منه ولا اظرف .

وقيل ايضاً : مر يوماً رجل من رأس بيروت ببعض اطراف (الزيدانية) فرأى قتيلا راعه منظره ، فاخبر اولياء الامر فوافوا الى موضعه وعلموا من بزة القتيل انه غريب ، فقبضوا على عشرة رجال من اهل رأس بيروت وسئلوا عن المقتول فانكروه ، فالقوهم في السجن . واتفق ان الباشا اتى في ذلك اليوم من دمشق فاطلعه المتسلم على واقعة الحال فامر باحضار اولئك الرجال المحبوسين فتاملهم واستجوبهم ثم اطلق سراحهم ، وبعث في طلب اصحاب الدكاكين والخانات في الزيدانية ، فجاؤه برجلين من تلك الجماعة فخلا باحدهما وقال له « اصدقني الخبر والا انتقمت منك اشد انتقام . قل لي . هل مر بك منذ يومين بعض الناس ومعهم رجل غريب ؟ فقال لا والله ، وخلا بالاخر وطرح عليه السؤال فقال « نعم يا مولاي ، حضر الى دكاني ثلاثة رجال غرباء فطلبوا مني طعاماً وشراباً واقاموا عندي يحتسون كؤوسا من الخمر ويلعبون بالقمار حتى اظلم الليل فانصرفوا . ولما اصبح الصباح رجع منهم اثنان . » فامره الباشا ان يمضي مع ضابط البلد للتفتيش عنهما في خانات المدينة . وبعد ساعة جاء بهما اليه فقال لهما « ويلكما اصدقاني . اين رفيقكما الذي كان معكما ليلة الثلاثاء ؟ » فلما سمعا كلامه ذعرا وايقنا انهما هالكان لا محالة ، فلم يريا مناصاً من الاقرار فاعترفا بانهما قتلاه طمعا بماله . ثم قضى باعدامهما والقائهما في المكان الذي قتلا فيه الغريب ، وبتعطيل الدكان الذي سكروا فيه ، ويعرف بدكان الزيدانية وبقي الدكان مقفلا الى خروج الدولة المصرية من هذه الديار .

وحادثة الخفاش الرابعة دليل على يقظة الباشا وظرفه . والخفاش او (الوطواط) نوع من الطير ينتشر في الليل وينتفع من اضراره بزروعات الناس . وقد حدث ان تاجراً اشترى قنطاراً من الزبيب ، فتركه مفروشا في ركن دكانه . وكان يعلو الباب نافذة صغيرة مشبكة بقضبان من الخشب . ورحل التاجر الى دمشق في بعض اموره وقد اقفل دكانه . ولما عاد تفقد الزبيب فلم ير منه شيئا ، فرفع شكواه الى متسلم البلد فلم تسفر الجهود التي بذلت في معرفة السارق عن شيء . واهمن اذ لم يكن هناك اثر لكسر في النافذة او في الباب . وبعد ايام خرج بعض اتباع الباشا للنزهة في مغارة الحمام براس بيروت ، وقضوا فيها سحابة النهار ، واستلفت نظرهم فتات الزبيب على الحشائش في ركن المغارة ، فاخبروا في المساء الباشا بما رأوه في ذلك الموضع الحسن ، واتوا على ذكر فتات الزبيب فتذكر الباشا الزبيب المسروق فارسل الى صاحبه التاجر ولما اتى السراي في الغد قال له « قد وجدنا السارق فامضي مع ضابط البلد يرشدك الى مخبأه » . فتهلل وجه التاجر فرحا وركب مع الضابط وانطلقا بين البساتين وما زالا مسرعين ، والتاجر كلما اقترب من رأس بيروت توقع ان يرى وجه السارق حتى انتهيا الى المغارة . فخيل له ان السارق مختبىء فيها فصاح « يا سارق الزبيب اسلم نفسك » . ثم سكت قليلا ونادى « يا سارق الزبيب ، ابرز لنتفق على ثمن ما اكلت وما ابقيت . ثم التفت مبهوتا الى الضابط وسأله « اين السارق ؟ » فقال الضابط « ما احسب السارق من الانس ولا من الجن » . قال التاجر « ان لم يكن هذا ولا ذاك ، فمن تراه يكون اذن ؟ » فتبسم الضابط وقال « سارق الزبيب جماعة الوطاويط » .

وحكوا ان رجلا عصى اوامر المتسلم فرآه ضابط البلد وكان فظا فصفعه ثم ضربه عشرين عصا حتى سال دمه . فبلغ ذلك الباشا فغضب وامر باحضار الضابط فجيء به ووقف بين يديه ، ثم امره بالجلوس فجلس وضرب الباشا براحة على راحة ، فاقبل عبد اسود يحمل طبقا فيه عشرون قطعة من الحلوى يقال لها (كرابيج) ووضعها بين يدي الضابط . فقال له الباشا كل فتناول الضابط قطعة ودسها في فمه ثم قال له كل . فاكل قطعة ثانية ودعاه الباشا ايضا فاكل الثالثة فالرابعة فالخامسة ، ثم التفت الى الباشا وقال « طاعتك واجبة في المحبوب والمكروه ولكن مالي الى الزيادة من سبيل . » فقال له الباشا « لا تخرج من هنا ان لم تأكل ما في الطبق . » قال الضابط « اطال الله بقاءك ، انا لا استطيع . وان اكرهتني مت لا محالة . » فهز الباشا رأسه وقال « ارءيت كيف لا تطيق ان تأكل من الكرابيج الحلوى فوق قدرتك ؟ فما ظنك بالرجل الذي اشبعته ضرباً واطعمته عشرين كرباجا .. من خيزرانتك ؟ » فخجل الضابط وحلف الا يعاود فعلته ، وكان ذلك ضربا من احسن الامثال في التأنيب .

هذه ست نوادر وقعت لابرهيم باشا في بيروت وليست هذه القصص الا وقائع ما زال شيوخ بيروت الطاعنون يروونها عن ابائهم ، فهي بريئة من آفة الاختراع ، وقد رأيت ان اثبتها هنا لان المؤرخين قد اهملوا ذكرها واغفلوا هذه الناحية العامة في سيرة الرجل ، على الرغم من انها اصدق في الدلالة على خصاله التي تكونت منها بطولته وجعلته موضع الاعجاب والاحترام .

شفيق طبارة

كيف تأسست دولة الموحدين في المغرب

بقلم رائف فاخوري

كان صاحب الدعوة الى تأسيس هذه الدولة رجلا يدعى ابو عبدالله محمد بن عبدالله بن تومرت (وهو اسم بربري) المنعوت بالمهدي وينتسب الى الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهما وقبيلته من المصامدة وتعرف بهرغه في جبل السوس من بلاد المغرب نزلوا به لما فتحه المسلمون مع موسى بن نصير . وكان محمد بن تومرت هذا ربعة اسمر فظيعاً عظيم الهامة حديد النظر وكانت ولادته يوم عاشوراء سنة ٤٨٥ . رحل في شبيبته الى بلاد المشرق في طلب العلم واجتمع باكابر علمائه وحج واقام بمكة مدة مديدة وحصل طرفاً صالحاً من علم الشريعة والحديث النبوي واصول الفقه والدين وكان ورعاً ناسكاً متقشفاً مخشوشنا مخلوقاً كثير الاطراق بساماً في وجوه الناس مقبلا على العبادة لا يصحبه من متاع الدنيا الا عصا وركوة وكان شجاعاً فصيحاً في لسان العرب والمغرب شديد الانكار على الناس فيما يخالف الشرع لا يقنع في امر الله بغير اظهاره وكان مطبوعاً على الالتذاذ بذلك محتملا للاذى من الناس بسببه وقد ناله بمكة شيء من المكره من اجل ذلك فخرج منها الى مصر وبالغ في الانكار فزادوا في اذاه وطردته الدولة وكان اذا خاف من البطش وايقاع الفعل به خلط في كلامه فينسب الى الجنون فخرج من مصر الى الاسكندرية وركب البحر متوجهاً الى بلاده حتى انتهى الى المهدية احدى مدن افريقيا سنة ٥٠٥ فطفق لا يرى منكراً الا جاهر بانكاره واقدم على تغييره بيده فتسامع الناس به في البلد فجاؤوا اليه وقرأوا عليه كتباً من اصول الدين ثم انتقل الى بجايه فاقام بها مدة وهو على حاله في الانكار فاخرج منها الى بعض قراها واسمها ملالة . وبينا هو ذات يوم في الطريق رأى شاباً قد بلغ اشده معتدل القامة عظيم الهامة اشهل العينين كث اللحية شثن الكفين طويل القعدة واضح بياض الاسنان بخده الايمن خال ورأى فيه من النجابة والنهضة ما تفرس فيه التقدم والقيام بالامر فسأله عن اسمه وقبيلته فاخبره ان اسمه عبد المؤمن بن علي القيسي الكومي نسبة الى كومة وهي قبيلة صغيرة نازلة بساحل البحر من اعمال تلمسان وانه من قيس عيلان ثم من بني سليم فقال ابن تومرت هذا الذي بشر به النبي (صلعم) حين قال : ان الله ينصر هذا الدين في اخر الزمان برجل من قيس . قيل من اي قيس؟ قال من بني سليم .

واستبشر بعبد المؤمن وسر بلقائه وقال له : اين مقصدك ؟ فقال الشرق . قال ما تبغي ؟ قال اطلب علماً وشرفاً . قال وجدت علماً وشرفاً وذكراً، اصحبني تنله . فوافقه على ذلك فالقى اليه محمد بن تومرت امره واودعه سره . وكان محمد بن تومرت قد صحب رجلا يسمى عبدالله الونشريسي ففاوضه في ما عزم عليه من القيام فوافقه على ذلك اتم موافقة وكان الونشريسي ممن تهذب وقرأ فقها وكان جميلا فصيحاً في لغة العرب والمغرب فتحدثا يوماً في كيفية الوصول الى الامر المطلوب فقال محمد بن تومرت لعبد الله : ارى ان تستر ما انت عليه من العلم والفصاحة عن الناس وتظهر من العجز واللكن والحصر والتعري عن الفضائل ما تشتهر به عند الناس لتتخذ الخروج عن ذلك واكتساب العلم والفصاحة دفعة واحدة ليقوم ذلك مقام المعجزة عند حاجتنا اليه فنصدق فيما نقوله ففعل عبد الله ذلك وكان يظهر البله وعدم المعرفة بشيء من القرآن والعلم وبزاقه يجري على صدره وهو كانه معتوه ومع هذا فالمهدي يقر به ويكرمه ويقول ان لله سراً في هذا الرجل سوف يظهر . ثم ان محمد بن تومرت استدنى اشخاصاً من اهل جلادا في القوى الجسمانية اغماراً وكان الى الاغمار اميل منه الى اولي الفطن والاستبصار فاجتمع له منهم ستة سوى عبد الله الونشريسي فرحل الى اقصى المغرب واجتمع بعد ذلك بعبد المؤمن وتوجهوا جميعاً الى مراكش وملكها يومئذ ابو الحسن علي بن يوسف بن تاشفين وكان ملكاً عظيماً حليماً ورعاً عادلا متواضعاً . ورأى محمد بن تومرت في مراكش المنكرات اكثر مما عاينه في طريقه فزاد في امره بالمعروف ونهيه عن المنكر فكثر اتباعه وحسنت ظنون الناس فيه فبينما هو في بعض الايام في طريقه اذ رأى اخت الملك في موكبها ومعها من الجواري الحسان عدة كثيرة وهن مسفرات وكانت هذه عادة الملثمين تسفر نساؤهم وجوههن ويتلثم الرجال فامرهن بستر وجوههن وضرب هو واصحابه دوابهن فسقطت اخت الملك عن دابتها فرفع امره الى الملك فاحضره واحضر الفقهاء ليناظروه فلم يكن منهم من يقوم له فاشار على الملك مالك بن وهيب احد وزرائه بقتله وقال لان هذا لا يريد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وانما يريد اثارة فتنة والغلبة على بعض النواحي . فلم يفعل بل امر باخراجه من مراكش فسار الى اغمات ولحق بالجبل حتى التحق بالسوس الذي فيه قبيلته هرغه وغيرهم من المصامدة وذلك في ٥١٤ ثم استقر في تينمل وهو مكان حصين منيع وكان قد سار ذكره في اهل الجبل فجاؤوا

من كل فج عميق وتبركوا بزيارتـه وكان كل من اتاه استدناه وعرض عليه ما في نفسه من الخروج على الملك فان اجابه اضافه الى خواصه وان خالفه اعرض عنه وكان يعظهم ويذكرهم بايام الله ويذكر لهم شرائع الاسلام وما غير منها من الظلم والفساد وانه لايجب طاعة دولة من هذه الدول لاتباعهم الباطل بل الواجب قتالهم ومنعهم عما هم فيه وسمى اتباعه الموحدين واعلمهم ان النبي (صلعم) بشر بالمهدي الذي يملأ الارض عدلا وان مكانه الذي يخرج منه المغرب الاقصى فقام اليه عشرة من رجاله بينهم عبد المؤمن فقالوا لايوجد هذا الا فيك فانت المهدي وبايعوه على ذلك وكان يستميل الاحداث وذوي الغرة وكان ذوو الحكم والعقل والحلم من اهاليهم ينهونهم ويحذرونهم من اتباعه ويخوفونهم سطوة الملك. فكان لا يتم له مع ذلك حال وطالت المدة وخاف محمد بن تومرت مفاجأة الاجل قبل بلوغ الامل وخاف ان يطرأ على اهل الجبل من جهة الملك ما يحوجهم الى تسليمه والتخلي عنه فشرع في اعمال الحيلة فيما يشاركونه فيه ليعصوا على الملك بسببه فرأى بعض اولاد القوم شقراً زرقاً والوان اباءهم السمرة والكحل فسألهم عن ذلك فاجابوه بعد لأي ان عليهم للملك خراجاً في كل سنة فتصعد مماليكه اليهم وينزلون في بيوتهم ويخرجونهم عنها ويختلون بمن فيها من النساء فقال محمد والله ان الموت خير من هذه الحياة ثم قال لهم بعد ان اثار حميتهم وغيرتهم واخذ عليهم العهود والمواثيق : استعدوا لحضور هؤلاء بالسلاح فاذا جاؤوكم فاجروهم على عادتهم وخلوا بينهم وبين النساء وميلوا عليهم بالخمور فاذا سكروا فاذنوني . فلما حضر المماليك وفعل بهم اهل الجبل ما اشار محمد به وكان ليلا فاعلموه بذلك فامر بقتلهم باسرهم فلم يمض من الليل ساعة حتى اتوا على اخرهم ولم يفلت منهم سوى مملوك واحد تمكن من اللحاق بمراكش واخبر الملك بما حدث. فلما فعلوا ذلك خافوا على نفوسهم من الملك فامتنعوا في الجبل وضيقوا ما فيه من طريق يسلك اليه فقويت نفس المهدي بذلك ثم ان الملك ارسل اليهم جيشاً قوياً فحصروهم في الجبل وضيقوا عليهم ومنعوا عنهم الميرة فقلت عند اصحاب المهدي الاقوات حتى صار الخبز معدوماً عندهم وكان لهم كل يوم من الحساء ما يكفيهم فكان قوت كل واحد منهم ان يغمس يده في ذلك الحساء ويخرجها فما علق عليها قنع به ذلك اليوم فاجتمع اعيان اهل تينمل وارادوا اصلاح الحال مع الملك فبلغ الخبر بذلك المهدي فقال للونشريسي هذا اوان اظهار فضائلك دفعة واحدة ليقوم لك مقام المعجزة لتستميل بذلك قلوب من ليس يدخل في الطاعة ثم اتفقا على ان يصلي الصبح ويقول بلسان فصيح بعد استعمال العجمة واللكن في تلك المدة : اني رأيت البارحة في منامي انه قد نزل الي ملكان من السماء فشقا فؤادي وغسلاه وحشياه علماً وحكمة وقرآنا فلما اصبح فعل ذلك فبكى المهدي بحضرة الناس ثم قال له نحن نمتحنك فقال : افعل ، وابتدأ يقرأ القرآن قراءة حسنة من اي موضع سئل وكذلك الموطأ وغيره من كتب الفقه والاصول فعجب الناس من ذلك واستعظموه ثم قال لهم ان الله اعطاني نوراً اعرف به اهل الجنة من اهل النار وامركم ان تقتلوا اهل النار وتتركوا اهل الجنة وقد انزل الله تعالى ملائكة الى البئر التي في المكان الفلاني يشهدون بصدقي فسار المهدي والناس معهم يبكون الى تلك البئر وصلى المهدي عند رأسها وقال يا ملائكة الله ان ابا عبد الله الونشريسي قد زعم كيت وكيت فقال من بها : صدق . وكان قد وضع فيها رجالا يشهدون بذلك. حينئذ قال المهدي هذه البئر مطهرة مقدسة قد نزل اليها الملائكة والمصلحة ان تطم لئلا تقع فيها نجاسة او ما لا يجوز فالقوا فيها من الحجارة والتراب ما طمها . ثم نادى في اهل الجبل بالحضور الى ذلك المكان فحضروا للتمييز فكان الونشريسي يعمد الى الرجل الذي يخاف ناحيته فيقول هذا من اهل النار فيلقى من الجبل مقتولا والى الشاب الغر ومن لا يخشى فيقول هذا من اهل الجنة فيترك على يمينه فكان عدة القتلى سبعين الفاً . ولما فرغ من ذلك امن المهدي على نفسه واصحابه واستقام امره ثم انه جهز جيشاً عدد رجاله عشرة الاف بين فارس وراجل وفيهم عبد المؤمن والونشريسي واصحابه كلهم واقام هو بالجبل فنزلوا لحصار مراكش واقاموا عليها شهراً ثم كسروا كسرة شنيعة وهرب من سلم من القتل وكان فيمن سلم عبد المؤمن وقتل الونشريسي . وبلغ الخبر محمد بن تومرت وهو بالجبل وحضرته الوفاة قبل عود اصحابه اليه واوصى من حضر ان يبلغ الغائبين ان النصر لهم وان العاقبة حميدة فلا يضجروا وليعاودوا القتال وان الله سيفتح على ايديهم والحرب سجال وانكم ستقوون ويضعفون ويقلون وتكثرون وانتم في مبدأ امر وهم في آخره ثم توفي في سنة ٥٢٤ ودفن في الجبل وقبره هنالك مشهور يزار وكان قوته من غزل اخت له في كل يوم رغيفاً بقليل سمن او زيت ولم ينتقل عن هذا حين كثرت عليه الدنيا ورأى اصحابه يوماً وقد مالت نفوسهم الى كثرة ما غنموه فامر بضم ذلك جميعه واحرقه وقال : من كان يتبعني للدنيا فماله عندي الا ما رأى ومن تبعني للآخرة فجزاؤه عند الله تعالى وكان على خمول زيه وبسط وجهه مهيباً منيع الحجاب الا عند مظلمة وكان له رجل مختص بخدمته والاذن عليه ثم تولى الامر من بعده عبد المؤمن وامتد ملكه الى المغرب الاقصى والادنى وبلاد افريقيا وكثير من بلاد الاندلس وتسمى امير المؤمنين . وهكذا كان تأسيس دولة الموحدين .

رائف فاخوري

السينما بين المسرح وفن التصوير

بقلم رفيق الاختيار

انتهينا في بحثنا الماضي الى ان دراسة ايقاع الفيلم تقودنا للبحث في علاقة السينما بالفنون الاخرى وما اخذته عنها من طرق فن وقواعد تأثرها بها .

وليست دراسة هذه العلاقة من الدراسات السهلة المتناول لتشعب الاراء فيها وتضارب النظريات واختلافها، وتكاد تكون صلتها بالمسرح من اعقد الصلات وادقها ولا سيما اذا ذكرنا ان المسرح لم يزل حتى اليوم من اعظم الفنون التي زاحمت السينما وكان في ميدان النضال عنيداً صعب المراس ، ظهرت قوته في ميادين شتى ولم يزل يعمل لاعادة مجده السابق .

والحق يقال ان السينما كانت في خطواتها الاولى ربيبة المسرح وبقيت حتى عام ١٩١٠ تستجدي اكف مخرجيه وممثليه ومؤلفيه وقد خدمها هؤلاء خدمات جلى ولكن الصبغة المسرحية البحتة من حيث التصوير والتمثيل والحوار كانت تطغى على ما دونها ، حتى اطلق جيل القرن الماضي على هذا الفن الناشيء — السينما — اسماً غريباً هو : مسرح الفقراء ، وحجتهم في ذلك انها عاجزة عن اظهار فن الدرام المسرحي ، ولذا فهي شقيقة حقيرة للفن المسرحي الجبار .

ولا ريب ان هذه الاثرة للفن المسرحي كانت حائلا دون تفتق عبقرية رجال المسرح الكثر عن فكرة جديدة او طريقة مبتكرة يقدمونها للفن السابع واكتفوا بتطبيق ما عرفوه في المسرح ومن تجارب المسرح فانتجوا افلاماً صامتة كثيرة العناوين — الحوار — قليلة الزخرف، مفتقرة للحد الثالث وهو العمق . ولولا غريفث وشابلن لبقيت السينما اسيرة اثرة بعض رجال المسرح.

تلقن شابلن اول نظرياته عن التمثيل من المسرح ولكنه لم يكن بالغبي الغفل حتى يطبق ما تعلمه حرفاً بحرف في السينما بل كان فناناً داهية لم يطبق قواعد المسرح المعروفة في افلامه بل اقتبس من نظريات فن التمثيل الصامت ما رآه مناسباً للسينما وطبقه . والحق انه لو قدر لنا دراسة بسيطة لهذا النوع من الفن المسرحي لمسنا جلياً العنصر المشترك بينه وبين الصور المتحركة .

ولو كنا من النفسيين الذين يعتقدون ان الاختراع لا وجود له في الطبيعة لسلمنا بان « شابلن » اقتبس فن التمثيل السينمائي من الفن المسرحي الصامت . ولكن الحقيقة ان تشارلو لم يكن مجرد مقتبس بل كان مبدعاً يمتاز بعبقرية خلاقة لم تكتف بالاقتباس فقط بل ابدعت اسس التمثيل السينمائي ابداعاً بينما كان « غريفث » يضع اسس فن الفيلم .

وهكذا تضافرت اعمال «شابلن وغريفث» للعمل على خلق فن قائم بذاته هو فن الفيلم يمتاز بالامكانيات التي تؤهله للاستقلال عن المسرح .

ولا ريب ان الافلام التي اخرجت حتى عام ١٩١٠ والتي كانت تبعث الضحك والسخرية ، جديرة بالتقدير اذ بينت للعالم الفرق الكائن بين المسرح والسينما — التي اصبحت اليوم « فن الحركة » . فبينما بقي المسرح محصوراً بين جدره الثلاثة بقوة تعبير محدودة لا يمكن ان تعطي الجمهور التفاصيل الكافية لمتابعة سياق الرواية وقلة الديكور وضآلة حجم الممثل نرى السينما لا تترك شاردة ولا واردة دون عرضها تحت انظار المتفرج ليلم بادق تفاصيل الحادث تارة بتنويع زاوية التقاط الصور واخرى بتبديل حجم المرئي ومثل هاتين الميزتين لا يمكن المسرح بلوغهما ولهما كل الفضل في جعل الافلام السينمائية تفوق المسرحيات .

المسرح فن محدود وضعت قواعده منذ الاف السنين وهي لا تتبدل ، لذا نراه منذ ظهور السينما يفقد قيمته السابقة تدريجاً ، اذ ان الجمهور يريد الانطلاق من الحدود الضيقة التي فرضها عليه المسرح: يريد التملص مما يسمونه الوحدات الثلاث ليتوجه نحو السينما حيث يجد اللانهاية .

وقد بدأ يظهر في العالم فئة من الممثلين لا تمت لاسرة المسرح بصلة والتطور الذي يمر على السينما يبعدها يوماً بعد يوم عن المسرح وطرق تعبيره وكل تطور يطرأ عليها يزيد في تحررها منه وهذا

التطور لا يقف عند حدود الفن ذاته بل يتعداه الى جمهور المتفرجين الذين كانوا يجدون قوة المسرح في الاصغاء التام الى ما قاله عطيل قبل قتله « ديسديمون » وبعده، دون الاهتمام بالقتل ذاته. اما اليوم فقد عودتنا السينما ان نرى كيف وقع القتل.

فنحن لا نشاهد فوق خشبة المسرح الامرئيات محدودة وحوادث محشوة بالحوار حتى اصبح الحوار لا يروي غليلنا في التعبير عن الحوادث المقبلة والسالفة فاندفعنا بكليتنا نحو السينما حيث نجد الحادث مكتمل الاجزاء دقيق التفاصيل وفي حلة لا يمكن توفرها في المسرح مطلقاً . هل رأيت طوال حياة المسرح اصطدام سيارتين او انقلاب قاطرة ، وهل رأيت فوق خشبة المسرح عاصفة هوجاء او حريقاً هائلا او هزة ارضية ، وهل رأينا الحرب فوق خشبة المسرح؟ لا لم نرها ولولا السينما لما عرفنا الحرب واهوال الحرب.

الفيلم السينمائي قطعة من صميم الحياة الحقة بفضل مناظر الفلم الكثيرة ومشاهده الفنية المتنوعة التي تقوم مقام الاحاديث المملة المطولة التي نسمعها من فوق خشب المسرح . والمحاورات عنصر اساسي من عناصر فن المسرح ، لذا تعتبر الافلام التي تعتمد على المحاورات فشلا لفن السينما اذ لا يعمد فيها الى استثمار الامكانيات الكثيرة التي يقدمها الفن السابع . ونحن لا ننكر ان دخول الصوت على السينما قدم من شأن السينما كثيراً ولكن يجب ان نجعل الصوت في خدمة الصورة والحركة — لا العكس لانه يجرنا الى حظيرة « الافلام المسرحية » كما نرى عند فئة لم يكفها ان استغلت فن الفيلم فعمدت منذ ظهور الفيلم الناطق الى وضع الصوت في خدمة فكرتها وظهرت « الافلام المسرحية » — اذا صح هذا التعبير . وكان ظهورها على ايدي بعض مخرجي فرنسا امثال « مارسيل بانيول وساشا غيتري — عضو اكاديمية عونغور — وبطل ومخرج عدة افلام اشهرها : لآلئ التاج وقصة غشاش وشارع الشانزيليزه — وسواها » وقد اخرج هؤلاء ، ومن الف لفهم في فرنسا عدة افلام سينمائية قائمة على قواعد فنية وسط بين عناصر فن الصور المتحركة وفن المسرح عرفت باسم « المسرح السينمائي » يحتفظ بالصوت ويستثمر الصورة ولكنه لا يتركها تعلو .

المسرح والسينما

لا ننكر وجود اثر للمسرح في تاريخ السينما ، ولكن يوم انفصال هذين الفنين احدهما عن الاخر سيكون قريباً . وسيعيش كل منهما على مائدته : — المسرح على الحوار والسينما على الصورة الحية . قد يتساءل القارىء حسب مبدأ « الفعل ورد الفعل » عما اثرته السينما في المسرح فأقول : — « ان تأثير السينما كان مجرد بعث النهضة المسرحية وظهر هذا جلياً في فرقة « كلينسلر وربنهارد وبالي روس » وقد حاول « ارفنـغ بيسكوتور » في برلين وجول رومان ودانجو تانبو » في باريز ، استخدام طرق الاخراج سينمائية في المسرح فلم ينجحوا ، لانها كانت تمر على تعديلات تفقدها صبغتها . وهذا دليل على استقلال كل من الفنين عن الاخر . ان الفرق الاساسي بين الفن المسرحي والفن السينمائي يجعل من السينما فناً قائماً بذاته .

السينما وفن التصوير

يظهر ان السينما عرفت منذ فجر التاريخ ودليلنا الاثار التي تركها الاقدمون من نقوش تمثل حياتهم العامة والخاصة والتي كانت بالحقيقة بمثابة السينما لدينا . عرف البشر الصور المتحركة منذ القديم وما تركه لنا اليونانيون والمصريون من اثار ملوكهم في صيدهم وما نراه من رسوم الالهة، كانت السينما الابتدائية التي سايرت فن الرسم مسايرة مطلقة وتأثرت بكل اتجاهاته من الرسوم البسيطة المنحوتة الى الرسوم الزيتية والفحمية الى النحت في القرون الوسطى وعصر النهضة . نفهم من هذا كله ان طريقة قص قصة بالرسوم المتتالية حادث قديم كالعالم .

عقب ظهور المسرح اليوناني بدأ الرسم وبالاحرى النحت يتأثر بالمآسي اليونانية عامة كما يظهر في الاوعية والنقوش المتروكة . لذا يمكننا ان نقول ان التمثيل عامة كان وحي فن الرسم عند اليونان كما كان في القرن السادس عشر حتى الثامن عشر في اوربا ولا سيما في فرنسا كما يظهر من اثار الكلاسيكيين . لذا يمكننا ان نقول : « ان فن الرسم كان يسير دوماً الى جنب التمثيل اسوة باكثر الفنون البلاستيكية او التصويرية .

منذ الخليقة والانسان يمثل في حياته العامة والخاصة . والانسان مقلد بالطبع وحب التقليد هذا اوحى له فنين عظيمين : فن الرسم والتصوير وفن التمثيل وقد يصعب تمييز السابق عن اللاحق . ولكن هذا لا يمنعنا من القول ان احدهما يقوم على اكتاف الاخر منذ امد مديد .

من المسلم به ان نهضة الصور المتحركة الاولية كانت في الرسم قبل الفوتوغرافيا، بل كان الرسم من اهم العوامل التي كونت في

الجمهور فكرة تحريك الصورة، فاخذها العلماء عن « هيرشل وسواه» واعملوا فيها فكرهم وهذبوها حتى رأيناها في حلتها الحاضرة السينما او فن الحركة وليس من حاجة تدعو للوقوف على خطوات السينما الاولية منذ عرفها المصريون بامثال (ميكي ماوس) الى المحاولات التي قام بها الرسام (ليونارد دافينشي) لكي نقف على الصلة بين السينما والرسم .

لم يقتصر اعتماد السينما على الرسم في نشأتها الاولى بل لم تزل تعتمد عليه واثره بارز فيها حتى يومنا هذا ولا اظن هذا الرأي يحتمل ادنى نقاش . اذ يكفي ان نستعرض بعض القطع الزيتية التي خلفها كبار الرسامين حتى نرى كيف استمدت السينما شخصياتها وزخرفها منها ، اذ لا يمكن المخرجين وهم يخرجون افلامهم ان يبعدوا عن افكارهم قطع بعض كبار الفنانين وخاصة في الافلام التاريخية : نذكر ما اخذه « كلارنس براون » من قطعة « دافيد » التي تمثل « نابليون » عند زواجه من « ماري تيريزا » لفيلمه « ماري فاليسكا» وكذلك « سيسيل دي ميل » فقد غزا قطع « غيران » المعروضة في « اللوفر » لتغذية اكثر افلامه خاصة « كليوباترة » . ومن الافلام التي يظهر فيها اثر الرسم جلياً يمكن ان نذكر « غرفة الدكتور كاليغاري » الذي اخرجه « روبير وين » في عهد الصامت وكذلك « روبين ماموليان » تأثرت بصورة للسيدة سيريزيا عمل دافيد ايضا وتمثل القطعة فتاة عصر «ولنغتون» وقد لاحظ كل من شاهد فيلم ماموليان التشابه العظيم بين« فرانسيس دي »في الفيلم وصورة «مدام سيريزيا» .

ولا بد ان نتساءل عما يستمده المخرج من مخلفات كبار فناني التصوير ؟

انتشرت منذ مدة في الافلام السينمائية الصور غير المجلوة ولا ريب ان من يطالع الادوار التي مر فيها الرسم في اوربا الشمالية ، المانيا والسويد وهولاندا ، يلاحظ للوهلة الاول ان السينما في طريقة « الفلو » كانت معتمدة على ما تركه « رانبران » ويلاحظ في كثير من الافلام ان المخرجين لم يكونوا يتوانون مطلقا عن الاخذ بطريقة البندقيين المعتمدة على الالوان الشديدة والاضاءة . اذن لاضاءة الصور الزيتية اثر في خلق وتوجيه الاضاءة الصناعية في السينما التي مرت في اطوار كثيرة حتى بلغت درجة الكمال . واصبح مهندس الاضاءة يتلاعب في توجيهها على المرئي لكي يعطي شخصيته قيمة اعظم تزيد في اثر الفيلم . ولكن مهما بلغ مدى التخيل الجزئي فان تقدم الصناعة السينمائية ودخول الالوان اعطى الاضاءة من قوة التأثير اضعاف ما كنا نراه . وزادت اواصر العلاقة بين الرسم والسينما . وليس هذا في الفيلم الملون فقط بل مر على السينما عهد كانت وظيفة الالوان فيها رمزية اكثر من اي شيء آخر : فاللون الاحمر يمثل اللهب او الدم واللون الاصفر الذهب والرمادي الارض والاسود الليل والاخضر الشجر او الحقول . واظن القراء لم يزالوا يذكرون هذا النوع من الافلام التي راجت سوقها في العهد الصامت ورأينا كل لون يوافق حالة خاصة ويبعث شعوراً يتناسب معه من احمر الى اخضر .

الصور السينمائية والزيتية

لا يمكننا بصورة من الصور ان نقصر العلاقة بين السينما والصور الزيتية على الالوان التي لم تزل بعيدة عن السينما رغم الافلام التي شاهدناها، اذ هناك نواح غير التلوين تصل بين التصوير الزيتي والسينما .

والحق ان قوة تأثير الصورة السينمائية كامن في اسلوبها وهي كـكل قطعة فنية تتطلب من صاحبها خلق صورة جامعة بين التعبير المراد والجمال سعياً وراء خلق الاثر المرجو في نفوس المتفرجين . ومن هنا نشأ اختلاف بين طرق الفنانين في التعبير حسب طبيعة كل منهم وقيمة الفنان الذاتية .

ان ميدان ابداع «الرسام الزيتي» لا يمكن ان يتجاوز حدوداً معينة : الريشة وقطعة القماش والصباغ، بينما المجال في الميدان السينمائي فسيح امام المخرج ليسخر ما يحلو له من الوسائل ويرفع مستوى صورته وترقي « فن الفوتوغرافيا » ساعد على خلق مجالي جديدة في ميدان الابداع والتفنن . وهناك فرق اساسي بين هذين الفنين هو وجوب جعل الصورة السينمائية منفردة قابلة للامتزاج مع سابقتها ولاحقتها .

* * *

والحق يقال ان عوامل الصلة بين الرسم والسينما موقوفة على نواح ظاهرية مجردة . لان التصوير الزيتي والسينمائي لا يمكن ان يقوم على طرق فنية واحدة ثابتة ومحدودة اذ هناك شرط اساسي هو « الايقاع الداخلي او الجزئي» القابل للامتزاج او غير القابل له .

والخلاصة انه يمكن التصوير الزيتي والفوتوغرافي ان يخلقا صورة فنية جميلة ولكنها منفردة ، اما في السينما فلا يمكننا ان نعد مثل هذه الصورة جيدة لانه لم تتوفر فيها قابلية التسلسل والامتزاج .

ويلاحظ ان النتيجة دائمًا واحدة : وهي ضرورة توفير صورة تعطي الفيلم تتابعاً جيداً ومقبولا لتأمين الايقاع الخارجي او الكلي .

دمشق — رفيق الاختيار

حكاية العمر

● بقلم عبد المطلب الامين

يا غربة الصحو على الشاربين   وغصة الشك بقلب اليقين
وخيبة الاعياء من ثورة   راضت بها الاعصاب حمى الجنون
ومبعث الامال من هجعة   القى بها اليأس لبرد المنون
وعثرة الذكرى باشلائها   تناثرت بين اصطفاق السنين
مشى اليك العمر يا فتنتي   وفي خطاه عثرة الهائمين
يصارع الكأس فلا ينتشي   ويصدم اليأس فلا يستكين
يهده الجهد فلا ينثني   وكم اناخ الجهد رحل الظعين
مشى اليك العمر لا يهتدي   ابالثواني عد ام بالقرون
طوى اليك الارض دامي الخطى   مقرح الجفن ندي الجبين
ويعصف القيد باقدامه   فيصهر القيد وينجو السجين
بعثت بالنور الى ليله   فشعشع الليل وضج السكون
وهبته سرك ايماضة   افاضها الله على العارفين
فصرف الكفار عن غيهم   وافسد النجوى على المؤمنين
سلافة الصوفي في كأسه   عدت عليها سكرة الفاسقين
ودمعة المحروم في جفنة   وفي رؤاه تخمة الناعمين
تناقضت صورة ايامه   كأنها منك انعكاس امين

***

حكاية العمر على طولها   وما زهاها من طلاء الفنون
قصصت للغيب احاديثها   كقصة الصحو على الشاربين
نفضت عن جفنيك اطيافها   وبعتها ، بيع الشذى للانين
تضاءل العمر على رحبه   وجف من معناه فيض المعين
ولو رسمت اليوم الواحه   اضاع في الالوان ما ترسمين
وهبت للذكرى وبيدائها   عطية الهاوي وجود الضنين
اعيذ هذا العمر يا فتنتي   يرحمه الموت ولا ترحمين

دمشق — عبد المطلب الامين

الثقافة العسكرية

نقدم هذا البحث القيم في « الثقافة العسكرية » الموضوع الذي قل من تناوله من كتاب العربية، على خطورة شأنه في فهم احداث الحرب الحاضرة. وقد دبجته براعة شخصية عربية جليلة وخصت به قراء « الاديب »

◆

تعاريف اولية

الحرب نضال بين ارادتين ، على رأس قوتين مسلحتين في حالة تصادم ، اذا وهنت احدى الارادتين او تطرق اليأس اليها فقدت الامل في الغلبة والنصر ، كانت الهزيمة عاقبة لها . كان علي بن ابي طالب بطلا من ابطال العرب. قال يوماً مخاطباً جنوده: « فسوّوا صفوفكم كالبنيان المرصوص وقدموا الدارع .. واستعينوا بالصبر والصدق فانه بقدر الصبر ينزل النصر .» وهذا القول الذي صدر منذ ١٣ قرناً يصدق عن الحرب في مجموعها الى اليوم ، لان العوامل النفسية هي اول ما يساعد على النجاح في الحروب واحراز النصر في ميادينها . وعليه يكون الاساس الاول الذي تبنى عليه تهيئة الامة لحمل السلاح هو العمل على غرس الروح العسكرية في نفوس افرادها وتربية قوة الارادة والثبات فيهم مع الثقة في النفس ، والاستماتة في الدفاع ، وتعويدهم الاقدام والجرأة لمواجهة الاخطار وتحمل المتاعب والمشاق . والمعركة في صورتها البسيكولوجية جهاد نفسي بين قائدين . والجيوش المتلاحمة يمثل كل منها آلة محكمة التركيب والوضع ، خاضعة لسلطة وارادة واحدة . والغرض من تنظيم الجيش وتقسيمه الى فرقة وسرية وكتيبة (اي فرقة وبلوك واورطة) ، هو احكام سير هذه الالة وجعلها جسماً حساساً مثل جسم الانسان بنظامه العصبي: الرأس تحرك كل طرف فيه وتشعر في الوقت نفسه بما يمس او يصيب اي عضو فيه .

كذلك الجيش مع رئاسته ، فبالتدريب والضبط والتنظيم ، تصل ارادة القائد من اعلى الى اسفل متدرجة من ضابط الى ضابط حتى تصل الى الجندي البسيط الواقف في الصف الامامي ، في مواجهة العدو . وارادة القائد مركز للتحريك والقيادة والسوق والتجميع . فهي التي تصدر الاوامر بجمع الوحدات ونقلها وتوزيعها وتحرك القوات والاسلحة المختلفة ، وتعبئها في اماكنها ثم توحد مجهوداتها وترسم لها اعمالها وطريقة مساعدة بعضها لبعض ، وفي النهاية تسيرها متكاتفة متعاونة نحو الهدف المقصود .

ويضع القائد قبل التلاحم او الاشتباك في القتال خطته التي يحكم تفاصيلها ودقائقها . فاذا اتمها عليه ان يتبعها دائماً فلا يخرج مطلقاً عن دائرتها ، فاذا سببت الظروف او الجأته الحوادث ان يحيد ولو مؤقتاً عنها فمن واجبه ان يعود في الحال الى اتباعها . . واذا دخل القائد المعركة اتته المعلومات واخبار الحوادث اولا باول ، تترى من كل جانب ، فيشرف على سير الحركات الحربية وعلى تطور ادوار المعركة ويراقب تنفيذ اوامره وتأثيرها ونتائجها . ولكن اهم عامل فعال بين يديه هو انه ، رغم اشتباكه ، لا يزال يسيطر على اختتام المعركة وقفلها بقوات الاحتياطي التي يحرص كل الحرص على الاقتصاد في استعمالها وان تكون مؤلفة من قوات كاملة العدة والعدد ، قوية نفسياً ومستريحة جسمياً . فاذا اذنت الساعة الفاصلة دفع بها جميعاً نحو العمل بغير تردد ولا احجام حتى لا تفلت من يديه فرصة احراز نصر كامل بمعنى الكلمة . والنصر في نظر الفلسفة يتم اذا تصدعت بالقوة ووهنت ارادة الخصم . ولكن الحرب كما سنرى عمل وحركة ونتيجة ، فما يصلح للتعارف عليه بين الفلاسفة لا يقنع العسكريين . ويقول بعضهم : النصر يتحقق بابادة قوى العدو الرئيسية في الميدان ، وهذا ايضاً لا يكفي لتعريف معنى النصر الحربي تماماً . فالنصر يتحقق بتدمير العدو والقضاء عليه وهذا يتطلب ابادة قواه الرئيسية وتشتيت وحداته المجمعة واصابته مادياً باسكات بطارياته وتحطيم استحكاماته وافناء قوة المقاومة وروح الدفاع التي لديه . والوصول الى هذه النتيجة يجب ان تتملك ارادة القضاء على العدو ، عقيدة القائد الذي يحرك الجيش ، ورأس الجندي الذي ينفذ الامر الصادر اليه بالتقدم ، وتفكير المهندس الذي يخترع ويبتكر آلة القتال من سلاح وطلقة . واذا تحقق

النصر نحدد مداه وقيمته واهميته حينما نعرف عدد قوات العدو التي ابيدت او اسرت او تشتتت، ونقارنها بمساحة الارض التي انتزعت عنوة منه مع اهميتها من جهة مواردها الاقتصادية وما عليها من طرق المواصلات والنقل وطبيعتها الطبوغرافية اي من ناحية جبالها وانهارها وتضاريسها الارضية ومقدار صلاحيتها للدفاع والهجوم .

اركان وضع الخطط الحربية

اذا رجعنا الى تاريخ الحروب والمعارك الخالدة التي اكتسبها كبار قواد العالم لا نجد ان احداً منهم قد حصل على كل ما يبتغي من العناصر الاساسية التي تجعل النصر نتيجة محتمة امامه ، قبل اشتباكه في الحرب . ولذلك لا ينتظر اي قائد ما في حياته العسكرية اذا دعي يوماً لوضع خطة حربية ان يساعده الحظ فيجد بين يديه كل ما يتطلبه وضع خطة من قواعد ومعلومات تامة عن العدو وحركاته لكي يصل الى وضع تصميم يستحق ان يوصف بالكامل .

ولكن لكل خطة اركاناً وعناصر اساسية،وهي وان بدت لاول وهلة بديهية،الا انه يجب على القيادة دائماً الاخذ بها في تقرير الخطط والتصميمات وبحثها ودرسها قبل اخذ قرار للعمل ، وهذه الامور يمكن ارجاعها من جهة طبيعتها الى ثلاثة اقسام : ١ — حقائق ٢ — فروض ٣ — استنتاجات .

(١) **الحقائق** هي الامور الثابتة المعلومة لدى القيادة علماً تاماً وهي :

١ — الغاية او الغرض النهائي الذي يعمل القائد لتحقيقه : اي ان كل خطة او تصميم يجب ان يرسم له هدف يرمى للوصول اليه .

٢ — العمل الذي يوصل الى تحقيق هذا الغرض .

٣ — عدد الوحدات والاسلحة التي تعمل تحت قيادته .

٤ — مراكز الوحدات والجهات التي تعمل فيها ونقط تجمعها ومقدار ما لدى كل منها من المؤن والذخائر .

٥ — حالة الجنود المعنوية وحالة المهمات والاسلحة ووسائل النقل الميكانيكي والدواب .

٦ — طبيعة الارض التي يعمل الجيش فيها ، لمعرفة ما يعترض الجنود من مصاعب وما يواجههم من تسهيلات، كل هذا مع مراعاة طبيعة العمل المنتظر القيام به وتقديرها .

(٢) **الفروض** هي كل ما ينتظر القائد حصوله وتحقيقه ولكنه لا يجزم بتحديده ولا يحكم بصحته نهائياً .

[١] **الزمن والمسافة اللازمة للقيام بحركة ما وقت المعركة**

يعرف القائد المسافة بين موقع وآخر والزمن للوصول اليه من خريطته، ولكن وجود جيش معاد ينقل هذه المعلومات من حقائق الى فروض لان المراكز التي يحتلها العدو وحالته ومقدرته تجعل من العسير تحديد الزمن والمسافة والعمل بالضبط ، فاذن يلجأ القائد فيفرض للعمل زمناً ومسافة حسب الحالة التي يراها امامه .

[٢] **المعلومات والاخبار**

لا يسع القائد ان يأخذ المعلومات والاخبار التي ترد اليه كقضايا مسلمة خصوصاً اذا توالت الحوادث بسرعة ولكنها تعود فتسترجع قيمتها الاحتمالية حينما يتكاثر ورودها ويكون ذلك عادة ابان فترة السكون التي تعقب الاشتباك في معارك — خصوصاً في حرب الخنادق ، فانها تصير حينئذ من الاركان التي تؤخذ في الاعتبار عند وضع خطة جديدة او اخذ قرار حاسم .

اما في حرب العراء — اي التي تشتبك فيها وحدات عديدة على جبهة منبسطة حيث يسهل تحريكها ، فان المعلومات تأتي في كثير من الاحيان غير متفقة مع الحقيقة او غير مفهومة فلا يمكن الاعتماد عليها لما تحمله من النقص والتشويه والمبالغة .

(٣) **الاستنتاجات** وهي الامور المحتملة الوقوع اي التي يتصور القائد حصولها فيستعد لها كيلا يفاجأ بحدوثها وهي :

١ — رد الفعل الذي تحدثه لدى العدو حركة حربية يقوم بها القائد . ويصعب التكهن بذلك واستنتاجه الا في حرب الخنادق حيث تثبت القوات في مواجهة بعضها بعضاً ويمكن الحصول على معلومات اوفى .

٢ – تصميمات العدو وخطته وما ينوي عمله . ويمكن الوصول الى استنتاج ذلك بالتحليل والاستقراء، ودراسة المركز الذي يحتله العدو والطرق التكتيكية المعتاد لديه اتباعها .

هذه هي الاركان الاساسية التي تبنى عليها الخطط الحربية . والخطة التي توضع على هذا الاساس لا تكون قد خرجت بعد عن الحيز النظري ولا تكون لها اية قيمة حربية اذا لم يأخذ القائد بالاعتبار الاول حالة الجنود النفسية التي يجب تعهدها وملاحظتها وتقويتها قبل الاقدام على اي عمل حربي .

ويتوقف نجاح اي خطة على مقدرة الضباط المكلفين تنفيذها وكفاءتهم مما يستدعي ملاحظة وتدقيقا في تخيرهم وفي توزيع العمل وتقسيمه عليهم كلا حسب كفاءته واستعداده لتنفيذ العمل المعول القيام به .

ولا يغرب عن بال القارئ ان الاركان التي ذكرناها ليست نهائية او اننا جئنا بتعدادها على سبيل الحصر ، ثم قد يعرض في سير الحوادث ما يفاجأ به القائد المسؤول فيجب ان يمرن نفسه على الهدوء التام وان تتملكه دائماً ارادة قوية ورباطة جأش هائلة حتى يسيطر على السير بالمعركة رغم ما يعترضه من المصاعب والمفاجآت ويجب ان يعرف كيف يجازف ولا يفقد ابداً غريزة الهجوم .

اصول الحرب

لا يقتصر نشر الثقافة العسكرية بين رجال الجيش العامل وافراد الامة على ايجاد نخبة من الضباط القادرين على تحمل المسؤولية والقيادة بل يساعد ايضاً على توحيد وجهة نظرهم وتفاهمهم وتعاونهم وفي ذلك قوة عظيمة للبلاد .

وقد بنيت العلوم العسكرية على تجارب عديدة هي تراث القرون الماضية، فهي علوم تجريبية وضعية غرضها الاول تربية النفس على النظام والطاعة وجعلها قابلة للعمل تحت خاصيات الحروب وطرقها واساليبها المختلفة .

واصول الحرب هي تلخيص المبادئ الاولى لهذه العلوم ويمكن اعتبارها كانموذج عند القيام بعمل من الاعمال الحربية وليس معنى ذلك ان تطبيقها يجعل النصر نتيجة محتمة لها وانما تطبيقها واتباعها يخلق ظروفاً تجعل النصر اقرب الى الوقوع كما ان مخالفتها او الخروج عن قواعدها يخلق ظروفاً تساعد على الهزيمة .

واذا كان الالمام بها ودراستها تفصيلاً يعد علماً من العلوم الوضعية الثابتة القواعد فان احراز النصر بها يعد فناً من الفنون ، لان تطبيقها في الميدان وتنفيذها في الحرب يحتاجان الى شخصية مدربة على البصر البعيد في الامور وعلى مقدرة في اخذ القرارات الحاسمة السريعة وهذه صفات يصل اليها الانسان بالتدريب على السكينة وضبط النفس وتثبيتها لتقوى على مقاومة المؤثرات التي تهدم العزيمة . – هذه المؤثرات من طبيعة الوسط المحيط بكل قائد تسببها نفسية الضباط الذين يعملون معه او تأتي نتيجة لحالة نفسية يخلقها العدو بتعمد اذاعة اخبار كاذبة – .

فاعظم ما يصل اليه التعليم والتدريب العالي هو خلق هذه الصفات الممتازة في نخبة من الشبان مدة دراستهم ثم تعهدهم بعد ذلك بالرياضة والتمرين حتى يعتادوا تنميتها في انفسهم ويكون ذلك باتصالهم بالجنود اتصالا من طبيعته ان ينمي روح القيادة فيهم مع البصر والتدقيق النفسي بحيث يصلون دائماً الى السيطرة على الحوادث وتنفيذ النصر بالعزيمة .

ونذكر فيما يلي فذلكة صغيرة عن اصول الحرب والمبادئ العسكرية التي يصح ان توضع كأنموذج امام من يريد التوسع فيها .

(١) **مذهب كارنو** كتب كارنو وزير الثورة الفرنسية وواضع انظمة جيشها كتاباً تاريخياً الى احد القواد الذي كان يعمل على نهر الرين قال فيه . . « ان ما يجب عليك عمله هو اجتذاب العدو الى معركة كبيرة فاصلة يتحقق النصر فيها على سطح بلاده، واحذر ان تقف موقف المدافع فان ذلك يقلل من شجاعة جنودك ويزيد في قوة خصمك » .

هذا المبدأ ظاهر واضح ويمكننا ان نذكر له مثالين مأخوذين من تاريخنا القديم الخالد ، معركتين خالدتين من عصر البطل العربي عمر بن الخطاب .

١ — القادسية .. وهي معركة فاصلة نهائية تحقق النصر فيهـا على ارض العـدو وكانت نتيجتها تصـدع ملك الاكاسرة النائمين وزواله .

٢ — اليرموك .. معركة فاصلة نهائية تحقق النصر فيها على ارض العدو وكانت نتيجتهـا تحرير سوريا من ظلم بيزنطة المنحطة وفوضاها وارجاعها الى حظيرة الوحدة العربية التي سارت من نصر الى نصر .

الاولى فخر لسعد بن ابي وقاص والثانيـة مفخرة لخالد بن الوليد وفي المعركتين تفوق الهجوم المستند الى الصفات الادبية على الجنود المرتزقة .

(٢) **تفوق الهجوم** : هذا المبدأ اهم المبادىء الحربية .

لان الهجوم له غاية وغرض معلومان وهو يرمي الى تحقيق نتيجة معينة .

اذن ارادة القائد المهاجم ظاهرة بينة معروفة ، ينتج منهـا ازدياد الروح المعنويـة والقوة النفسيـة في جنوده وضباطه ، وتتهيأ له الفرص العديدة التي يمكن الاستفادة بواسطتها من اخطاء العدو . كما ان كل حالة محاطة بالابهام والغموض بين جيشين متقابلين يمكن اظهارها بالهجوم الذي يقوم به احدهما لان الهجمات تجتذب اليها القوات المجمعة التي يستفيد منها المهاجم بطريقة غير مباشرة اذ يصل الى تحقيق حماية اجزاء من الجبهة كانت معرضة لهجمات قد يقوم بهـا العدو . وتزداد اهمية الهجوم ونتائجه كلما ازداد عدد الوحدات التي تشتبك فيه .

اما الدفاع فينحصر في المحافظة على المواقع المحتلة والاحتيا. والوقاية ، مما ينتج عنه الخضوع لارادة العـدو والتعرض له من جهة تسرب المعلومات والاخبار التي يستقيها ، والاضطرار للقتال في ظروف غير مضمونة او تعريض قوات كافية للتصادم مع قوات تزيد عليها فينتج من ذلك افناء جزء منها . اي ان القائد الذي يخضع لمثـل هذه المؤثرات يسعى لاستعمال الاحتياطي الذي لديه وافنائه في مناوشات وتعرضات يغتصبه الخصم عليها فيؤدي هذا في النهايـة الى الضعف والجمود والاكتفاء بالموقف السالب الذي يسبب الهزيمة .

ففي هذه الظروف لا يمكن المدافع ان يثبت الا بالقيام بالهجمات المضادة — اذا كان يملك قوات وافية — فـان الانتقال من الدفاع الى الهجوم يخفف من عبء الدفاع كثيراً ، فاذاتبودلت او توالت الحركتان واحدة بعد الاخرى فان الاسلحة الاوتوماتيكية الحديثة تضمن لمدافـع مستحكم في مواقع محصنة دفاعـاً طويلاً ولو امام قوات تزيـد عدداً عليه .

(٣) **ضرورة الوصول الى نتيجة فاصلة** : قلنا ان الحرب حركة وعمل ونتيجة وان الوقائع الحربيـة تستلزم ان يكون لها غرض او نتيجة . فالقائد الذي يرسم ويضع خطته يجب ان يجعل امام عينيه تحقيق نتيجة فاصلة ، فـان لم تكن فاصلة فلتكن على الاقل ذات اهمية كبيرة في سير ادوار الحرب .

اما اذا اكتفى بالوصول الى نتيجة قليلة الاهمية اي ثانوية بينما يكون العدو من جهته يسعى الى تحقيق نتائـج اخرى كبيرة ذات مرمى واسع فلا تلبث الحوادث ان تخيب ظن الاول ولا تمكنه من تحقيق غرض بسيط مثـل الذي وضعه امامه . كذلك الاقتصار على القيام بعدة مناوشات او هجمات بسيطة لا يمكن اعتبارهـا حركة واسعة النطاق ، فهذه الهجمات لا يكون لها نتائج ملموسة ظاهرة تعادل ما تكلفه من الخسائر في الرجـال والذخيرة . ويركن البعض الى استعمال طرق الحيلة والخدعة في القيام بحركات لا معنى لهـا فهذه سرعان ما يفتضح امرهـا اذا تكررت وتفقد كل اهمية ولا تترك غير الاثر السيء والخسائر . وكل عمل حربي يقـدم عليه القائد من غير ان يستعد له بالوسائل الكافية يحمل معه جرثومة الفشل كما ان الاوامر التي يصدرها بدون تمحيص ولا تثبت فيتضح عدم امكـان تنفيذهـا تعتبر اذا لم تطبق وتحقق اغراضها تعدياً على النظـام في الجيش فتحترس القيادة العامة من اصدار مثـل هذه الاوامر .

فاتباعاً لهذا المبدأ يجب الحصول في الوقائع الحربية على نتائج فاصلة ولتحقيق ذلك يجب الاستعداد واتمام الاهبة بوسائل كافية وعدم التراجع امام الاخطار او المشاق كما يلزم عدم التردد امام ما ستكلفه هذه النتائج من الخسائر في الرجال والذخائر — هذا مع التوجه الى الحقائق دائماً فلا يتوهم القائد القدرة على انجاز اعمال تفوق الطاقة التي لديه ، اي يجب الموازنة بين الارادة والمقدرة .

(٤) **المفاجأة** هي المباغتة في العرف العادي ويكاد يتصور القاري. لاول وهلة انتظار جماعة من الناس لفريق في كمين ثم مباغتتهم ، ويقول البعض في كتبهم هي التفوق على العدو في الحيلة والخدعة . وانما المطلوب هنا هو الاستعداد للمفاجآت مدة السلم وقبل دخول المعارك الحربية وفي مدة القتال ويكون ذلك باتباع ما يأتي :

١ — يراعى في تنظيم الجيش العام فصل وحدات واصناف تدرب تحت نظام واساليب سرية خاصة لا يتمكن العدو او الدول الاخرى من اكتشاف سرها ، وتلجأ الدول الى تطبيق ذلك بايجاد فرق واسلحة ممتازة تمرنها سرياً في المستعمرات البعيدة عن انظار الناس . ومن قبيل المفاجأة ايضاً ادخال انظمة و«تكتيك» الجيش العامل على وحدات من الرديف وتدريبها سراً على ذلك .

٢ — يراعى مدة السلم درس مختلف الاسلحة وادخال التحسين عليها بطريقة سرية لا يعلن عنها كما حدث مدة الحرب العظمى في الميدان الغربي من اخراج اسلحة جديدة استعملت في الخنادق وفوجىء الحلفاء من ناحية الالمان باستعمال الغازات الخانقة . ومن المفاجآت ايضاً صنع كميات هائلة من الذخائر الحربية استعداداً للحرب . ومن قبيل ما يخدم المفاجأة في الحروب ما تبذله الدول من ادخال التحسين العلمي والفني على الاسلحة والمفرقعات المختلفة ولا يكتفى بتشجيع المخترعين بل ان المصلحة تقضي بتقديم برنامج واسع النطاق ومكون من عدة خطط لعلماء البلاد والمختصين منهم فيكلف كل واحد منهم بدراسة نقطة معلومة ليصل الى نتائج تتفق مع اغراض الهيئات العسكرية واتجاهاتها . هذا مع تشجيع الصناعة الوطنية ومدها بالاموال لصنع الات الحرب الحديثة وتصديرها الى الخارج اذا زادت عن حاجة الجيش وذلك لتكون معامل البلاد على اهبة تامة واستعداد لتقديم ما يطلب منها في حالة الاشتباك في حرب من الحروب .

٣ — المفاجأة بواسطة الحركات والهجوم — اصبحت في الحرب الحديثة صعبة خصوصاً بين جيشين متقابلين نظاميين نظراً لوجود سلاح الطيران الذي يقدم المعلومات عن كل ما يجري من الاستعداد في المؤخرة ويمكن العدو من معرفة كل ما يجري وراء الخطوط الامامية من تجمع وحشد واستعداد . هذا ولا ننس مع ذلك الاشارة الى التسهيلات الكبيرة التي تقدمها وسائل النقل الحديثة خصوصاً السكك الحديدية والسيارات مما يجعل من السهل حشد قوة كبيرة لا يستهان بها كما توجد عدة وسائل لاخفاء اغراض القيادة . ولكن المفاجآت اصبحت في الوقت الحاضر معلقة بالخطط والقرارات التي سبق تدبيرها واقرارها عند وضع وتصميم الخطة الاساسية الاولى واذا حدثت المفاجأة في ناحية من نواحي جبهة منتظمة فان ذلك يكون لكسب الوقت ليس الا .

(٥) **المجازفة** هل يجازف القائد احياناً للحصول على غرض ابعد من الغرض الذي وضعه في خطته نصب عينيه ؟ . تنص التعليمات دائماً على الاحتراس من ذلك والابتعاد عن المجازفة لما فيها من اخطار ولكنها تصبح في بعض الاحيان ووسط المعركة ضرورة من الضرورات فيصير الاحتراس اختيار الوقت المناسب لوضع المجازفة في حيز التنفيذ واتخاذ الوسائل اللازمة لها ودراسة كل ما يحتمل حدوثه او ينتظر من رد فعل لها في نية العدو وعمله . والاقدام على المجازفة يستدعي وجود خطة لها يجب ان تكون مرنة وقابلة للتوسع .

(٦) تفوق الكثرة العددية

تعتبر الكثرة العددية اهم ضمان لاحراز النصر وهي خير ما يعتمد عليه لاحكام الوقاية في حالة التعبئة والسير والتلاقي يطمئن القائد بها على جيشه من مفاجآت العدو ومباغتاته ويصلح بها الاخطاء التي ترتكب من ناحية عدم اتفاق المعلومات التي تصله من قواد الوحدات والفرق الامامية عن حقيقة ما لدى العدو من قوات متجمعة واستعداد .

ولا يستطيع القائد مهما علت كفاءته في فن الحرب والقيادة ان يستفيد من كثرة عددية مكونة من جنود غير مدربين تدريباً كافيا على خاصيات الحروب فان للكفاءة حداً لا تتعداه .

كما انه يعد مستحيلا في الوقت الحاضر ان ينتصر قائد – في معركة قد نشبت فعلا تحت نظام الحرب الحديثة – امام قوات عدو تعادل في مجموعها مثلي القوات التي تحت قيادته حتى ولو كانت الاخيرة من احسن الجنود تدريباً .

ففي مثل هذا الموقف تسترجع لا محالة الكثرة العددية قيمتها واهميتها كعامل فعال في اكتساب المعركة .

ولهذا وضع مبدأ الكثرة العددية كاساس لتنظيم الجيوش لدى الامم الكبيرة لان عليها يتوقف احراز النصر في النهاية ، ونخلص من ذلك بنتيجة هامة هي :

ان القانون الاساسي والدستوري والتشريع الخاص بالتجنيد والخدمة العسكرية العامة يجب ان يراعى في وضعها ان تضمن الحصول على اكبر عدد ممكن من الجنود المدربين عند الدعوة الى التعبئة العامة . ومن هنا اتجهت الافكار الى تقسيم البلاد الى مناطق عسكرية تحوي كل منها عدة مراكز للتجمع والحشد، هذا مع مراعاة جعل التشريع الاداري متفقاً مع الغاية العظمى للبلاد اي جعله مرناً يسهل الاتصال بين السلطات العسكرية والهيآت الادارية التابعة لوزارة الداخلية، بل يمكن القيادة من مباشرة سيطرتها الفعلية على الادارة بشكل يضمن لها اعطاء نهاية ما يمكن من التعاضد والسرعة في تنفيذ اوامر التعبئة .

ولا ننس دائماً ان جيشاً مدرباً تدريباً عسكرياً وفنياً كافياً يصلح الاعتماد على افراد وحداته – لحد ما – في مهمة تدريب الجماعات التي تدعى للخدمة العسكرية عند التعبئة العامة اذا لوحظ مدة السلم ترقية معلومات الصف ضباط والاكثار منهم .

(٧) **تعبئة القوات** : التعبئة العامة هي دعوة الافراد القادرين على حمل السلاح للانضمام الى وحداتهم ، وهي قل ان تنفذ الا في الحالات الخطرة التي يعرض فيها كيان الدولة للخطر ، لان الدعوة تبدأ عادة بعدة اصناف اي مواليد عدة سنوات . وبما ان الحرب الحديثة جعلت واجب القتال عبئاً على المجموع باكمله فان المستقبل سيحتم اجراء هذه التعبئة العامة كلما ظهر في الجو خطر الحرب ، فهي تمثل النهاية العظمى لما في وسع امة من الامم ان تقدمه من الرجال لكي تحرز النصر في ميدان القتال . ولما كان العصر الحالي عصر القوة المادية المتمثلة في قوة التسليح والتدريب اصبحت عظمة الامم تقاس بما يمكن ان تقدمه من الملايين القادرة على حمل السلاح ولهذا اتجهت ارادة الامم القوية الى الاكثار من النسل والمواليد وتشجيع الزواج لكي تضمن مستقبلها وتأمن على كيانها وهذا لا يتحقق في الوقت الحالي بغير الملايين العديدة التي يمكن دعوتها للانضمام للجيش عند الحاجة .

واتباعاً لمبدأ الاستفادة من الكثرة العددية تتطلب التعبئة تجميع وحشد اكبر عدد من الجنود في اقرب وقت ممكن .

فالقيادة العامة عند اعلان الحرب تحمل بمقتضى هذا المبدأ مسؤولية كبيرة على اكتافها اذ لا يكفي ان يكون لدينا ملايين لحمل السلاح بل الاهم هو تجهيز هذه الملايين وتجميعها وسوقها وهو ما يقصد بالتعبئة وللوصول الى ذلك تضطر القيادة الى تعديل خطتها احياناً والى تضحية عدة مسائل هامة .

فلا يكفي ان توضع قواعد التعبئة وقوانينها وان تسير على طريقة «ديناميكية» بل يجب ان تستكمل شروطها الاساسية لكي تؤدي الغاية المتوخاة .

ولبيان ذلك نضع المبدأ الاتي :

ان اية وحدة من وحدات الجيش ولتكن فرقة – اي اثني عشر الف مقاتل – تعد في حالة تعبئة للحرب حينما تستكمل حشد جميع رجالها وضباطها ثم تنضم لوآتها واقسامها واسلحتها المختلفة – مشاة وخيالة ومدفعية ومهندسين واشغال عسكرية وقوات الطيران ومدفعيتها المضادة واقسام المواصلات من تلفون وبرق ولاسلكي – بشكل يمكنها من الاشتراك في موقعة حربية عامة ، في الزمن المحدد وفي الجهات والمسافة المختارة لها ، بناء على البرنامج الذي وضعته القيادة العامة للحرب .

من هنا تعرض الصعوبات الكثيرة المتشابكة في الحروب الحديثة ولكن العلم الحديث يسهل كل ما يبدو صعباً وبعيد المرام ولا نزاع في ان وجود نخبة من الضباط المختصين في فن التعبئة المتشبعين بروح التنظيم يجعل تعبئة عدة ملايين من اسهل الامور كما حدث في الحرب العالمية الاولى ١٤ – ١٩١٨ .

ويمكن الاشارة هنا الى ان تعبئة القوات الفرنسية في حرب السبعين كانت مثالا للفوضى والاضطراب وهذا ما تحاشته القيادة الفرنسية في سنة ١٩١٤ فكأنها استفادت من تجارب ودروس الماضي فائدة لا مثيل لها .

وتأخذ التعبئة مدة طويلة من الزمن قد تكون عدة ايام وفي هذا ضياع للوقت قد يؤثر في سير الاعمال الحربية الاولى ويكون لها رد فعل على النتائج المستقبلة او على سير الاعمال الجديدة ولذلك يلجأ القائد العام الى سحب القوات الامامية والجلاء عن جزء من اراضي دولته او اراضي حلفائه رغم ما يقابله من المصاعب وما يعرض له من الاخطار والمجازفة احياناً .

ومن ذلك نشأ اعتبار التعبئة المكونة من جيوش كبيرة وضبطها من جهة الزمن والمسافة فناً من الفنون العسكرية الصعبة التي توضع لها الخطط وتدرس بانتظام وتدقيق في رئاسات الاركان حرب العامة كما تدرس المسائل العلمية العويصة في معامل الهيئات العلمية .

فمن قبيل ما يعرض من المسائل لدى التعبئة ما يأتي :

• اذا وزعت قوات على جبهة متسعة الامتداد تعرضت هذه القوات للهزيمة على دفعات متتالية وكذلك تعرضت لنفس الخطر كل قوة تأتي من الخلف لمساعدتها .

كل قوات مجمعة بدون تقسيم للمناطق ولا توزيع لمراكزها تختل حركتها بعكس القوات الموزعة فنياً على جبهة متسعة فانه يسهل تحريكها بسهولة وتمكن قائدها من اخفاء اغراضه عن العدو .

كل قوة معبأة في ميدان قتال لا يمكنها ان تنفك قبل ان تحارب لان نظام الحروب الحالية لا يمكنها من ان تسترجع حريتها التامة في التنقل من جهة لاخرى قبل مضي زمن يختلف باختلاف كثرتها العددية .

من ذلك نرى بعض ما يعرض من المسائل والنظريات الصعبة عند وضع خطة للتعبئة العامة على جبهة قد تمتد مئات الكيلومترات مما يستدعي زيارتها مراراً لمعرفة طبيعتها ودراسة مواقعها دراسة تفصيلية وافية . ولذلك لا نبالغ اذا قلنا ان معلومات الضباط تقاس ايضاً بمقدار ما لديهم من المعلومات الجغرافية والطبوغرافية المستفيضة عن بلادهم من كل جهة من نواحيها .

(٨) الاحتياط والوقاية

غرض الاحتياط والوقاية هو ضمان حرية العمل في الحرب حسب الخطة الموضوعة فاذا اتمت التعبئة اتخذت القيادة الاحتياطات اللازمة لكي تتمكن من تحريك القوات التي لديها بدون ان تتعرض للمفاجآت التي يسببها العدو الذي يتبع ايضاً خطة له . ويساعد القيادة على ذلك قسم المخابرات العسكرية الذي من واجبه

الاول استقاء المعلومات والاخبار عن العدو ثم منع العدو من الحصول على هذه المعلومات عن الجيش .

وبعد شرط الاحتماء والوقاية متوفراً لحد ما لجيش من الجيوش الكبيرة اذا اتمت الوحدات الكبيرة تعبئتها التامة فينحصر واجب القيادة في الاحتياطات اذ توضع كل فرقة او وحدة في المكان الذي يضمن تعاونها مع الوحدات والفرق الاخرى ويعد هذا اول عمل نحو بدء الحركات الحربية التي ترمي الى انجاز الغرض الاساسي الموضوع في الخطة العامة .

فاذا اتمت هذه الوحدات تجمعها وتشكيلها في الاماكن المخصصة لها لا يكون لدى القائد طريقة يضمن بها حريته في العمل اوفق من البدء بدون اضاعة وقت بتنفيذ المقدمات الاولى لخطته الحربية لان هجوماً سريعاً يدفع بنشاط وجرأة يؤثر تأثيراً شديداً في العدو ويضطره ان يدافع عن نفسه ويقضي على مشاريعه التي ينوي القيام بها ويجعله يتبع ارادة المهاجم ولا شك ان النتائج تكون عظيمة اذا كان الهجوم بطريقة المباغتة غير المنتظرة . ولكن عملا مثل هذا يستدعى اولا تنظيم الحركة المراد القيام بها بجمع قوات كافية من الاحتياطي .

ويلاحظ القائد ان الاكتفاء بما تتخذه الوحدات التي تحت قيادته من وسائل الحماية والاعتماد بترك ما يخص القيادة منها على عاتق قسم المخابرات لاركان حربه فيه خطورة كبيرة خصوصاً في حالة الاشتباك مع خصم عنيد رابط الجأش معتاد على خفة الحركة وعلى العمليات الحربية تحت خاصيات الحروب الحديثة .

ومن هنا نشأت فكرة اعتبار تنظيم الوسائل العامة التي تضمن تأمين وحماية الجيش المكون من وحدات كبرى كمبدأ حربي اعلى . يساعد طبعاً على تطبيقه ما تتخذه الوحدات الصغرى — فرقة او لواء او اورطة — من احتياطات تأمينية في حال تشكيلها وتعبئتها واحتلالها المراكز وهاوهي احتياطات «تكتيكية» معروفة لكل وحدة من هذه .

ولكن تبقى لرئاسة الجيش العامة مهمة تنظيم وسائل الاحتماء والوقاية على اساس اكبر مبني على علم «الاستراتيجية» وعلى الاستفادة من تعاون الاقسام المختلفة كما قدمنا .

ولا نرى بأساً من الاشارة هنا الى ان تطبيق هذا المبدأ في قيادة وسوق تحريك الوحدات الكبرى لا يزال موضع بحث رجال الفن العسكريين بانتظام واستمرار عند وضعهم للخطط الحربية العامة مما ادى الى تفرع وجهة نظرهم .

فالمذهب العسكري الالماني الذي وضع اسسه المارشال « مولتكا » ومن شرحه بعده من النقاد الحربيين الالمان خصوصاً الكولونيل جنرال الكونت « زشليفين » رئيس الاركان حرب العامة لبروسيا سابقاً يختلف عن المذهب العسكري الفرنسي الذي اخرجه نابوليون في حروبه ثم اتبعه المارشال « فوش » . لان كلا من المذهبين يفهم تنظيم تأمين وحماية الجيش المكون من وحدات كبرى على اساس خاص به .

(٩) التصرف في القوى

لا نميل الى استعمال كلمة ادخار القوى ولا اصطلاح الاقتصاد في القوى لان القصد ليس التوفير في استعمالها وانما القصد هنا هو حسن التصرف في توجيه القوى المكون منها الجيش واستعمالها بالحكمة التي تستلزم كسب المعركة .

والغرض من التصرف في القوى هو توزيع القوى حسب الغرض الذي تسعى القيادة لتحقيقه فهي تدرس بدقة الهدف الاساسي المراد تحقيقه وهو واحد لا يتعدد وبطبيعة الحال هناك اغراض ثانوية اخرى يجب ان يعمل حساب ما تستلزمه من القوى . فالقصد من حسن التصرف هنا هو ان يقاس بدقة ما يلزم من القوى للغرض الاساسي ولكل غرض ثانوي مع حساب ما قد ينتج من الارتداد والتراجع امام الاغراض الثانوية وما يكلف ذلك من استهلاك القوى والذخائر .

« اسامه »

موليير ؛ كورناي ؛ راسين ؛ لاديبارك

كان القرن السادس عشر في فرنسا عصر خرافات في الادب والسياسة ، فلما جاء القرن السابع عشر حمل الكتاب على الاقتباس من الاقدمين فاصبح الاقتباس اساساً لكل مؤلف ادبي وصار كل كاتب يسعى للتعبير عن فكرة قديمة بعبارة جديدة طلية . وجاء الكردينال ريشليو فانشأ الاكاديمية الفرنسية ، وما لبثت هذه الاكاديمية ان وضعت اسس الادب . بنى موليير ومعظم الكتاب المسرحيين شهرتهم على الاقتباس من الاقدمين الا انهم كانوا يرحّبون المواضيع التي يتناولونها ويلبسونها لباساً عصرياً يستقلون به عمن تقدمهم استقلالا يجعل المسرحية المقتبسة في ثوب من التأليف مختص بهم . فبلوت الروماني مثلا كان يقصر مسرحيته على المشاهد المضحكة فاخذ موليير هذه المشاهد وبنى عليها افكاراً اجتماعية درس بها حالة من حالات زمنه .

زعم بعض النقاد ان موليير وكورنيل وراسين مقلدون . والواقع ان هؤلاء الثلاثة كانوا من جهة يستقون افكارهم من ينابيع مختلفة ويعيرون الادب اشكالا جديدة من جهة اخرى ، ولقد اغنوا المسرح الفرنسي بروائع خالدة حملت طابع العصر الكبير وفتحوا الطريق لكثير من شعراء فرنسا كهيغو ولامرتين وموسه وفيني .

قال الكاتب الفرنسي برنار زير في محاضرة له : حلمت ليلة امس حلماً مزعجاً اذ وجدتني امام القضاة وعليّ رداني الاسود — لا اكتمكم اني كنت محامياً قبل اعتناقي حرفة القلم — وقد وقفت لالقي دفاعاً عن وراث « جيلهم دي كاسترو » في « دعوى وراث جيلهم دي كاسترو على بيير كورنيل المتهم بالسرقة . » وكان السيد جان دارا الشاعر الشاب والمحامي البليغ ، وكيل المدعى عليه بيير كورنيل . وسمع الشهود وهم : مونتين وباسكال وغوتي وفيني وهنري هيني . قال مونتين : « الحقيقة والعقل هما حق مشترك بين الجميع ولا فرق بين من يأخذه في الاول ومن يأخذه في الآخر . . . فالنحل يمتص الازهار ويجني منها العسل فيكون العسل ملك النحل لا ملك الازهار . » وقال باسكال : « الكرة التي يلعب بها هذا هي نفسها التي يلعب بها ذاك ، ولكن احد الاثنين يحسن رميها اكثر من الآخر . » وجاء دور فيني فقال : « كثيرون من الشعراء ليسوا الا سراقين ، فغوتي اخذ فكرة فوست عن مارلوف . » فحدق الحاضرون الى غوتي ، فخطا هذا الاخير خطوة الى الامام وقال : « هذا شيء طبيعي . واني لانصح للشعراء بان يختاروا لهم مواضيع مطروقة . . اذا اعترفت بكل ما انا مدين به لسلفائي ومعاصري فلا يبقى لي شيء يذكر . . ولكن ايسأل المرء عن البقر والنعاج التي اكلها واعطته القوة والنشاط ؟ » وعقبه هنري هيني فقال : « القالب هو كل شيء في الفن ، اما القماش فلا قيمة له . فالخياط ستوب يتقاضى ثمن البذلة

موليير وبيير كورناي في لوحة زيتية من رسم الفنان الفرنسي ل . جيروم .

بكامله لا فرق عنده بين ان تكون القماشة من عنده او من عند غيره اذ لا قيمة للقماشة في نظره.» وجاء موعد الدفاع فنهضت في الاول وقلت: «ان جميع الوان الجمال في (السيد) مأخوذ عن جيلهم دي كاسترو الذي نهبه كورنيل ..» فلم يصغ احد الى دفاعي. ونهض السيد جان دار قائلا: «كان يجب عليك ان تشكر كورنيل بدل ان تحمل عليه، اذ لولا كورنيل لبقي (السيد) مجهولا.» فحكمت المحكمة على موكلي بدفع نفقات الدعوى واستفقت من رقادي.

عندما وضع الشاعر راسين مسرحيته (الاسكندر) دفع بمخطوطتها الى كورنيل، فهنأه رب التراجيديا الفرنسية بشاعريته الجميلة ولكن نصح له بان يعدل عن الكتابة للمسرح زاعماً ان شاعريته غير مهيأة لهذا الفن. سوى ان المسرحية التي مثلتها فرقة موليير على مسرح (الباله رويال) نجحت نجاحاً باهراً. ومع هذا لم يرض راسين بالوجه الذي ظهرت به مسرحيته وجرت بينه وبين موليير مناقشة حادة افضت بهما الى الخصام، فحمل راسين مسرحيته الى مسرح فندق (بورغونيا) وكان يزاحم مسرح (الباله رويال). اما موليير الذي كان السبب في شهرة راسين فلم يغفر له هذا المسلك.

ولكن من يعرف السبب الحقيقي الذي حمل ذينك الصديقين على التخاصم؟ اتراه غضب المؤلف الذي لم ترضه الطريقة التي التزمها الممثلون في اخراج مسرحيته فانكر جميل موليير، ام هو الحب؟ ..

كان راسين يحب الممثلة (لاديبارك) وكان موليير يحبها هو ايضاً. وقد يكون الشاعر لافونتين عناهما حين قال: (كان ديكان يعيشان بسلام، فاتت دجاجة فاشتعلت الحرب.)

وكانت لاديبارك ممثلة شهيرة في فرقة موليير، ويقال ان موليير كان عشيقها وقد مثلت دوراً هاماً في مسرحيته (الاسكندر) فلما حمل راسين مسرحيته هذه الى فندق بورغونيا تركت لاديبارك موليير وتبعت الاسكندر وراسين الى المسرح المزاحم.

وكان لعشيقة راسين عدد كبير من المعجبين الذين لم تكن تعاملهم بالصد والنفور الا انها كانت قد زجت عنها حب رجلين من المشاهير هما لافونتين وكورنيل، فغضب عليها الاول وقال عنها (انها امرأة خالية من الذكاء ..) اما كورنيل العظيم فلم يطق هذا الصدود المهين لمجده فانتقم منها بقصيدة جاء فيها:

(ايتها المركيزة، تذكري انك عندما تبلغين عمري (كان الشاعر في الستين) لن تساوي اكثر مما اساوي اليوم لان الزمن سيعرف كيف يذبل اورادك كما جعد جبيني. لقد عرفني الناس في شبابك وجمالك وستصيرين الى ما صرت اليه. انك تملكين اشياء حرية بالعبادة ولكن اشيائي التي تحتقرينها قد تبقى حين تصير اشياؤك فانية.)

اتراها ارادت ان ترد على مقت كورناي لها وتأخذ ثأرها منه فاختارت راسين الفتى وهو في نشأة مجده المكلل بخمس وعشرين سنة ام انها وجدت الخمس والعشرين سنة في راسين اشد جاذباً من مجد كورناي في افوله؟ كل ما يستطاع قوله انها اصبحت معبودة الشاعر الشاب الذي احبها حباً تقاسمته الغيرة واللهب، على ان هذا الحب لم يمنعها من الظهور على المسرح في روايات لغير راسين.

ويقول النقاد ان عواطف راسين نحو لاديبارك ظاهرة في المسرحيات التي كتبها لها خلال علاقته بها كاندروماك مثلا، فهذه الرائعة تحمل في ابياتها الواناً من الغرام الملتهب الذي قال عنه جول لوميتر انه «الغرام المرض» الغرام الدامي الذي يقود الى الجريمة وتتخلله العبادة والغيرة والحقد.



الحركة الفكرية في المجر

في السنوات التي عقبت الحرب الكبرى الماضية والانقلابات الثورية بين ١٩١٨ و ١٩١٩ بطئت الحركة الادبية في المجر وكانت كبيرة النشاط في ظل الملكية السابقة . اما اليوم فهي اخصب واكثر تنوعاً منها في اي زمن مضى . فللشعر والاقصوصة والقصة الطويلة ميدانها الفسيح ، وللفلسفة عشاقها ولكنهم اقلية تكاد لا تخرج من دائرة الجامعات . وليس في المجر مدارس ادبية ، فالكتاب يحتفظون باستقلالهم المطلق حتى ولو انضموا الى كتلة . واهم الكتل الادبية في المجر هي كتلة « الغرب » (نيوغات) فهذه المجلة التي يمثل اسمها منهاجاً مرسوماً ظهرت للمرة الاولى في اليوم الاول من كانون الثاني ١٩٠٨ . ويرى السيد « الادار شبغلين » وهو من كبار النقاد وفي الرعيل الاول من محرري هذه المجلة ، وقد اصدر لسنوات خلت « تاريخ الادب المجري في القرن العشرين » — ان حركة الغرب لا تخلو من « مسحة سياسية يسارية » ، فرجالها من غير ان ينتسبوا الى احزاب سياسية مشربو الروح بالاخاء الانساني وبمحبة الحرية الثقافية . وفي عداد هؤلاء الشاعر الكبير ميشيل بابيتس الذي حوكم خلال الحرب الماضية لنظمه قصيدة « قبل الفصح » وحكم عليه بالاحالة على التقاعد قبل الاوان ، وكان يشغل منصباً في دار المعلمين . وميشيل بابيتس الذي يتولى اليوم ادارة مجلة « الغرب » اديب ملهم ، مشرق اللغة خبير بمداخلها نقل الى المجرية جملة مؤلفات لدنتي وبودلير وبيرن وشلي ، واصدر عدة قصص بينها قصة « ابناء الموت » التي وصف فيها انحطاط طبقة الاشراف الصغيرة في المجر .

وينتسب الى حركة « الغرب » اربعة شعراء اخر ، هم اندره آدي ، ودزيره كوستوليني وارباتوت ، وجول هوجس . وقد توفي هؤلاء الاربعة قبل الاوان ولكنهم ما يزالون يبسطون نفوذهم على الشباب . فلأندره آدي الذي تأثر بالادب الفرنسي وبرمزية بودلير وفرلين على الخصوص فضل كبير على شعراء الحقبة الحاضرة . ولدزيره كوستوليني الذي لم يغرب عنه شيء من روائع الاداب العالمية فضل المتقدم في القصة العصرية والنقد . وله قصتان رائعتان هما « نيرون » التي ترجمت الى الانكليزية والالمانية و « آناردیس » التي نقلت الى عدة لغات في جملتها الانكليزية والفرنسية .

الادب الفرنسي

ولم يقتصر التأثر بالادب الفرنسي على هؤلاء فحسب بل تجاوزهم الى معظم ادباء المجر . ولا بد هنا من الاشارة الى ان تعلم اللغات الاجنبية يحتل في المجر مكاناً مرموقاً الى جنب اللغة الوطنية وفي الندر ما تقع على مثقف لا يحسن لغة او لغتين . ومع ان للغة الالمانية اثرها البارز في الحياة المجرية بداعي الاقلية التي تتكلم هذه اللغة نرى تأثير الادب الالماني اقل بكثير من تأثير الادب الفرنسي . وما يقال عن الادب الالماني يقال عن الادب الطلياني . ولسنوات خلت انشأت الحكومة المجرية في برلين وروما مؤسسات شبيهة بالمدارس الفرنسية في اثينا وروما ، ولكن رجال الفن المجريين وطلاب السيادة على الفكر المجري لا يجدون امنيتهم الا في باريس . فبالرغم من السياسة التي افضت بالمجر الى الوقوف موقف الحليف من المانيا تجد الافكار الفرنسية تتسرب

في كل مكان ، فالكتاب الشيوخ والشبان يقرأون ادباء فرنسا ويحبونهم ، والقراء يقبلون على الكتب الفرنسية او على ترجمات هذه الكتب باللغة المجرية . وفي بودابست جريدة اسبوعية تصدر باللغة الفرنسية باسم « Gazette de Hongrie » ومجلة شهرية باسم « Nouvelle revue de Hongrie » كان يساهم في تحريرها طائفة صالحة من الكتاب الفرنسيين المشهورين . وتمتاز المجر بكتاب مختصين بالادب الفرنسي دون سواه كالسيد مرسيل بنديك الذي كان يساهم عن طريق الراديو في تحبيب اللغة الفرنسية وادباء فرنسا الى المجريين ، والسيد اسكندر ايكرت ، الاستاذ في معهد الاداب ببودابست ومؤلف القاموس المجري الفرنسي الذي ساعد على نشر الفكرة الفرنسية بما اصدر من الكتب ونشر من المقالات ، والسيد البرت جيرجيه الذي يحرر في مجلة « الغرب » فقد الف كتاباً عن القصاصين الفرنسيين وآخر عن القصة الفرنسية في يومنا هذا ، وترجم بروست وكلوديل وجيرودو وبول فاليري وجيد . وكالسيد سيجسموند مورتيز الملقب بزولا المجري ، فقد كان هذا الكاتب اول من وصف القرويين المجريين بالوان تعيد الى الذاكرة قصة « الارض » لزولا .

ويجدر بنا ان نفرد مكاناً خاصاً للسيد فردريك كارنتي المشهور بمسرحياته وقصصه وجولاته الصحفية ، بتهكمه اللاذع وتلميحه اللطيف كأنه يجمع بين فولتير وموليير . ولا بد لنا بهذه المناسبة ان نلاحظ ان اللغة الادبية المجرية تطورت كثيراً في السنوات الستين الاخيرة . ولكن الفضل في بعث اللغة يرجع الى الادباء الذين اسسوا مجلة « الغرب » فهذا الجيل شع قبيل الحرب الكونية الماضية في عهد زعيمه اندره آدي ، ونقل المشعل الى الجيل الثاني الذي كبر في الحرب فكان اقل اشعاعاً واكثر تردداً . ومن رجاله الشاعر القصاص الاشتراكي لويس كاساك ، والشاعر جول ايليس — مصور بؤس الشعب وشقاء الحياة القروية — ولوران زابو مترجم فراين ، ويوسف ارديليي ، الشاعر القروي حبيب الطبيعة والمتكلم بلسان اخوته البائسين .

جيل الشباب

اذا كان الجيل الاول ، جيل « الغرب » (نيوغات) ، يمثل الفن للفن واذا كان الجيل الثاني ، جيل ما بعد الحرب يمثل اتجاهات اشد وطنية ، فالجيل الثالث — جيل الشباب — يبدو اقل اتحاداً واكثر اضطراباً من متقدميه . فجميع الاتجاهات التي تتجاذب في الادب الاوربي ظاهرة فيه من الاتجاه الكاثوليكي الذي يمثله المعجبون ببول كلوديل وموريـاك ، الى الاتجاه اليساري ، الى المعجبين بموران وجيرودو ، الى الشعبيين وسواهم . وجميع هؤلاء الشبان ينتمون الى مجلات تعبر عن اتجاهات مختلفة .

وفي العام ١٩٢٣ تأسست مجلة « الشرق » (نايكليت) بادارة السيدة سيل تورماي . وكانت الغاية من تأسيس هذه المجلة مجابهة الاتجاه اليساري الذي تمثله مجلة « الغرب » ونشر المبادىء المسيحية والوطنية .

وصفوة القول ان العلائق الثقافية بين الكتلة اللغوية المجرية الحاضرة والاجزاء المنفصلة التي اوجدتها تجزئة البلاد اصبحت صعبة من جراء الاحتكاكات السياسية واقفال الحدود . ولكن الادب المجري بوجه عام يميل الى الاتحاد اكثر منه الى الانفصال ، بالرغم من العوامل السياسية . .

في الجزء المقبل « الحركة الفكرية في بلغاريا » .

تاريخ القطار الحديدي

بقلم ابن الغريب

منذ ١١٧ عاماً — اي سنة ١٨٢٥ — تفتحت اعين البشر على اول قطار حديدي جرى في العالم بقوة البخار.

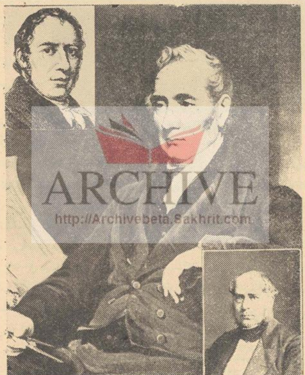
وليس ما بين الاختراعات الحديثة جمعاء من اختراع كان له في تغيير هيئة الكون ومجرى الحياة، وتعارف الشعوب، وانتشار التمدن، تأثير هذا الاختراع.

اهمية وسائل النقل:

منذ فجر الوجود البشري كان ترتيب وسائل النقل اقوى دليل على التمدن يرافقه في تقدمه على اجنحة الزمان، جنباً لجنب. فارقى الامم على الاطلاق انما كانت دائماً وابداً ارقاهن وسائل نقلية. واعجز الدول في كل ميدان هي البطيئة في نقل رجالها ومهامها من مكان الى آخر. واوضح مظاهر العمران في كل بلد انما هي حالة طرقاته. فلا يمكنك ان تسلك طريقاً معبداً نظيفاً دون ان تقدر الساكنين حوله وتحترمهم. وبالعكس لا يمكن ان تتعثر في حفر الطريق واخاديده دون ان تحتقر الراضين بها الساكتين عليها وتشجب الذين خربوا هذا الطريق واهملوه.

تقول الامثال الافرنجية: كل الطرق تؤدي الى رومة. وهذا المثل يرمز الى اعظم وسيلة بسط الرومان بها في العهد القديم سلطتهم على اطراف المعمور. ولا تزال حتى الان في بلادنا طرقاتهم القديمة باقية رغم تزاحم اقدام الاجيال وكرور عاديات الدهور.

وقد اراد الانسان منذ البدء الاستعاضة عن رجليه البطيئتين بوسيلة اقوى منهما تنقله بسرعة من موضع الى موضع فاستخدم الكلاب والبقر والحمير والبغال والجمال والافيال والخيل التي بقيت آجالا طوالا اسرع ما استطاع البشر استخدامه للانتقال: ثم حول عنايته الى القوى الكامنة في الطبيعة، فحصر البخار واستبدل به عام ١٨١٣ شراعات السفن في البحر بفضل روبرت فولتن الاميركي، ثم دفعه على خطوط حديدية عام ١٨٢٥ بفضل جورج ستيفنسون الانكليزي مخترع القاطرة الحديدية.



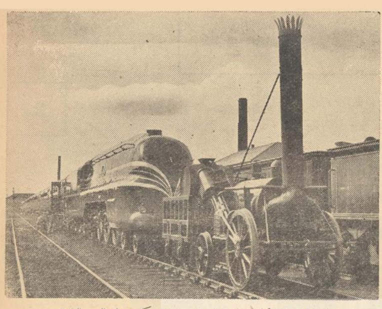
جورج ستيفنسون مخترع القاطرة الحديدية، في الوسط. وعن يمينه (فوق) رتشرد تربثيك احد الممهدين قبله للاختراع. وعن يساره (تحت) هنري بسمر مخترع الخطوط الفولاذية الحديثة.

واذا شئت ان تدري اهمية سكك الحديد في يومنا هذا قلنا لك بكل بساطة ان نقد العالم باسره من ذهب وفضة وورق لا يكفي لشراء ثلث السكك الحديدية فيه. فان اقل تعديل لقيمة هذه السكك في العالم اليوم عشرون مليار جنيه انكليزي ذهباً، ومجموع طولها على سطح الكرة وفي جوفها ٦٥٠ الف ميل، اي مليون كيلومتر، ومجموع عدد ركابها كل عام ستة مليارات، ومحمولها السنوي من البضائع ٣ مليارات طن.

هذه الارقام هائلة في الضخامة. واشد هولا منها انها بلغت هذا المبلغ الضخم في قرن واحد. وقد اشرنا عند ذكر الطول الى خطوط ممدودة في جوف الارض: ذلك ان بعض الامم لم يكفها سطح

الكرة لسد حاجتها من سكك الحديد . فحفرت لها انفاقاً عميقة تحت شوارع المدن وتحت مهود الانهر الفاصلة بينها وسلسلت هذه الشرايين المحيية المتينة في جسمها الارضي .

اما الذين عاشوا سنة ١٨٢٥ ونظروا الى اول قطار يقوده مخترعه المهندس جورج ستيفنسون بين مدينتي ستوكتون ودارلنتون الصناعيتين في انكلترا وعدوه تقريباً نصف مجنون فليس بينهم من قاده الحدس والتخمين الى تقدير هذه النتائج الباهرة لاختراع، كان في اصله حقيراً كالقطارات التي نبتاعها اليوم للاولاد في الاعياد، فصار بعد مرور قرن واحد حركة الوصل الجوهرية بين اقصى البلدان وادناها .



اول قاطرة حديدية اخترعها ستيفنسون ودعاها « راكت » اي السهم الناري .

ولا تظن ان هــذا الاختراع استمال الناس ولقي منهم تنشيطاً كثيراً في بــدء عهده . فان مجلة « كوارترلي » العلمية الرزينة في لندن، عندما اذاع ستيفنسون امله في ايجاد قاطرة تقطع ١٢ ميلا في الساعة لم تتمالك من التصريح بان (هذا التبجح في الادعاء يكفي للدلالة على فروغه، لان تسليم المرء نفسه الى آلة تندفع به في الفضاء بهذه السرعة الجنونية يشبه تسليمه بان يقذفه سهم ناري منطلق في الجو) .

ولما بحث الاميركيون عام ١٨٣٠ في سكك الحديد وامكان الاستفادة المالية من انشائها كتب حاكم ولاية نيويورك بكل حرية الى اصدقائه يحذرهم (من اضاعة المال والوقت في مشروع قطار لن تزيد سرعته يوماً عن ٥ اميال في الساعة ولن تكون لمبادلات العقل والنقل فائدة عملية) .

مسكين محرر تلك المجلة، ومسكين ذلك الحاكم المخلص لاصحابه . ان بين شيكاغو ونيويورك، لعهد كاتب هذه السطور فيها سنة ١٩٠٩، قطاراً كان يدعى (فلاير) اي الطيار، يقطع مسافة الف ميل في ١٦ ساعة !

مفارقة صغيرة : قلنا ان بعض معاصري ستيفنسون هزأوا باختراعه ولم ينشطوه . ونزيد ان هذا كان حظ اكثر المخترعين . فان روبرت فولتن الاميركي لما اتم اختراع السفينة البخارية عام ١٨١٣ واراد تجريبها في نهر هدسن طلب من صديق له غني مئة دولار لترتيب شؤون اخيرة في ذلك الاختراع . فهز الصديق رأسه اسفاً على قلة عقل فولتن ونقده مئة دولار مشترطاً عليه بالشرف ان يكتم عطاءه عن كل انسان . وقال : (اني لا ابخل عليك بهذه المساعدة لكني اخجل ان يقال اني ايدت بمالي سخافة معتوه يريد تسيير النار على المياه) .

كلا الصديقين راقد الان في قبره . اما المعتوه فولتن فكل باخرة ودارعة من جبابرة البحار تحيي ذكره الى الابد . واما صديقه (الحكيم العاقل) فقد تم له ما اراد وبقي اسمه الكريم نسياً منسياً .

تاريخ الخطوط الحديدية : يرجع اصل هذه المشروعات الهائلة الى وسيلة تذرع بها اصحاب مناجم الفحم الانكليز لتسهيل نقل الحاصلات الى اماكن الشحن . فمدوا خطوطاً خشبية مزدوجة على الارض الممهدة وسمروا بها حواجز مؤنسة تمنع دواليب العجلات من التزحلق عنها، وكانت الخيل تجر هذه العجلات بسهولة ادهشت الناس لان الحصان كان يسحب ٣ اضعاف حمله المعتاد .

اما اول عهد لمد هذه الخطوط فيتراوح بين ١٦٠٢ و ١٦٤٩ واول تحسين ادخل عليها سنة ١٧٠٠ كان الباس الخشب الممدود غطاء حديدياً يقيه التهرؤ . ثم سبكوا خطوطاً حديدية بكاملها ومدوها على اوصال خشبية تعارضها، ثم فكروا بوصل عجلات كثيرة بعضها ببعض فوضعوا بذلك اساس القطار الحالي، ثم استغنوا عن الحواجز المؤنسة بجعل الدواليب محرفة، فزاد الجر سهولة لكن الحصان كان لم يزل هو المحرك، وقد بدأ الناس يفكرون في

طريقة لاستبداله بالبخار .

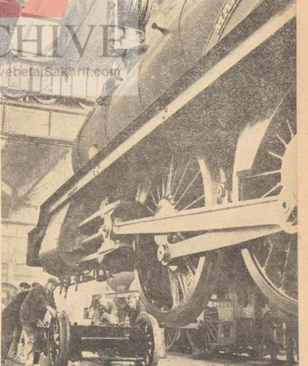
البخار : يقال ان اول ما نبه الناس الى قوة البخار اناء فيه ما يغلي على النار وقد سد سداً محكماً . فان البخار المتراكم المحصور فيه اخذ يحرك الاناء كله . ففكر احد الناظرين الى ذلك في امكان استخدام هذه القوة لتحريك الاثقال والجر . وكان هذا مبدأ اختراع المحرك البخاري . واول من اتقنه جيمس واط الانكليزي (ولد ١٧٣٦ ومات ١٨١٩) . فبقي على الناس ايجاد محرك يمشي مندفعاً بقوته الداخلية . واول من فعل ذلك رتشرد تريفتيك الانكليزي فقد سجل باسمه عام ١٨٠٢ عجلة بخارية ونجح في تجربيها امام شاهدين دهشوا لها في بقعة قرب لندن ، وجر بها عشرة اطنان بسرعة ٥ اميال في الساعة .

جورج ستيفنسون : ولد هذا المهندس في ويلام (انكلترا) سنة ١٧٨١ في فقر مدقع اذ كان على ابيه ان يعول ستة اولاد بمرتب ١٢ شلناً في الاسبوع يتقاضاها على تسيير عجلة على خط خشبي . اما جورج فكان اول عمل انتدب له رعاية البقر بمرتب بنسين كل يوم ، ثم ترقى فصار يجز الحشيش بمرتب ٤ بنسات في اليوم . ولما بلغ الخامسة عشرة امتلأ رأسه فخراً وتيهاً لان مرتبه صار يعادل مرتب ابيه اي ١٢ شلناً في الاسبوع . وكان يكافح الفقر والعوز مكافحة الابطال فتزوج في سن الحادية والعشرين وترمل بعد سنتين وانتدب رجلا يعلمه القراءة والكتابة باجر ٤ بنسات في اليوم وعارك صروف الدهر بجرارة . وعام ١٨١٥ اخترع قنديلا سهل الوقاية لاجل المناجم فذاع اسمه بواسطته . ثم تزوج ثانية واخترع قاطرته الخاصة في منجم كنيلورث . ولما اتمها لم يضحك اولياء الامر منه بل فوضوا اليه مد خط لها بين ستوكتون ودارلنتون عام ١٨٢١ فلما نجح فيه انتدبوه لمد خط آخر بين ليفربول ومنشستر . فاعلن انه يجري عليه قاطرة من صنعه بسرعة ١٢ ميلا ، فارتفعت حواجب الناس واستدارت عيونهم ولم يصدقه الا القليل . لكن اصدقاءه مدوه بمال وافر فظهر نجاحه باهراً عام ١٨٢٥ .

وما جاء عام ١٨٢٦ حتى كان ستيفنسون رئيساً لمهندسي الحكومة بمرتب الف جنيه في السنة . وبعد عشر سنوات كان بادارته ٢١٤ ميلا من الخطوط رأس مالها ٥ ملايين جنيه ، وقواطره تجري عليها بسرعة ٣٥ ميلا في الساعة .

وفي عام ١٨٤٥ ذهب الى بلجكا واسبانيا لاشغال حديدية واصيب عند عودته بذات الرئة وانصرف في اواخر حياته الى العناية بالشجر في حديقته وتربية الطيور والمواشي . وقد صور اخلاقه تصويراً حقيقياً بقوله : « لقد جاهدت وحدي لاجل القاطرة البخارية مدة ٢٠ عاماً ، وقاومت كل المصاعب ناوياً منذ البداية الا انطرح امامها مغلوباً . »

امتداد عروق السكك : اول دولة اخذت عن انكلترا مشروع السكك الحديدية كانت بالطبع ابنتها المستقلة ، اي الولايات المتحدة . والى الولاية التي دعت اخواتها الى الاستقلال ، اي ماستشوزتس ، يعود الفخر في الاقدام ، عام ١٨٣٠ ، قبل سواها على مد اول خط حديدي في العالم الجديد . وقد سبقت الولايات المتحدة سواها الى التقدم والتحسين في الامور العمرانية ، فمدت اطول خط متواصل في العالم بين نيويورك وكاليفورنيا على مسافة ٣ الاف ميل يقطعه قطار واحد في ٦ ايام و ٦ ليال ، ومدت في شوارع نيويورك اول سكة حديدية مرتفعة على صقالة خشبية تحملها اعمدة من حديد مشبك وتجري القطارات فوقها بسرعة ٢٠ ميلا في


قاطرة حديثة تقطع كيلومترين ونصفاً في الدقيقة

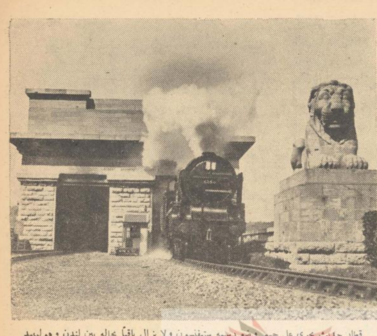
الساعة . لكن هذه السكة المرتفعة التي كانت في اول امرها موضوع اعجاب الناس انتزعت منذ بضعة اعوام ، لان اعمدتها اصبحت تعرقل حركة النقل والمرور المتزايدة في الشوارع ، واستبدلتها نيويورك بشبكة من السكك الممتدة في انفاق عظيمة تحت الارض والمتفرعة تحت مهود النهرين الشرقي والشمالي الى الضواحي المجاورة . هذه الانفاق المحفورة تحت تسعين قدماً من مهد النهر تجري قطاراتها سراعاً بقوة الكهرباء تفادياً من دخان الفحم واوساخه .

اما في اوربا فاول خط حديدي مد ، ففي بلجكا . ومنها انتقلت العدوى الى فرنسا سنة ١٨٣٢ فمد اول خط بين ليون وسنت اتيان وما زالت فرنسة دائبة حتى صار فيها اربعون الف كيلومتر من الخطوط ونظمت امور الشركات فيها كي تأمن كلها شر التزاحم . وكان هذا التعهد من الحكومة اساس المبدأ المعروف عندنا حتى اليوم باسم « امتياز » ولن تمر التسعة والتسعون عاماً بعد سنة ١٨٥٢ حتى يصير معظم سكك فرنسا ملكاً لحكومتها .

اما افريقيا فاول خط فيها مد في مصر من الاسكندرية الى القاهرة في عهد الامير محمد علي باشا جد الاسرة المالكة حالا .

ومما يستحق الذكر ان ايطاليا ، التي ما زالت الى اليوم تنفح كل شركة حديدية في العالم بعدد كبير من رجالها ليعملوا فعلة في المد والتعمير — بقيت حتى عام ١٨٦٢ تستعين على مد خطوطها الخاصة بجنسها اللطيف وحده ، فكنت ترى مشهداً مؤثراً من بنات ايطاليا ونسائها حاملات زنابيل التراب الثقيلة على رؤوسهن التي خلقت للزهر والمجوهرات ، تحت مناظرة مقاولين ايطاليين قساة القلوب يوسعونهن جلداً بالسياط ، وذلك لقاء دريهمات قليلة لم تكن تنقع غلة ولا تسد جوعاً .

الفحم الحجري والسكك : هذا الفحم رغم تلقيبه بالحجري انما هو نبات طال رصه تحت الارض وتطبيخه بحرارتها حتى تحجر ، ومع ان وجوده كثير تحت اطباق الثرى اخذت السكك الحديدية تهدده بالنفاد ، فهي تحرق وحدها ثلث محصوله السنوي في العالم .



قطار حديث يجري على جسر وضع رسمه ستيفنسون ولا يزال باقياً بجماله بين لندن وهوليهيد

◆

اول ما اخترع القطار الحديدي كانت الباخرة تحرق ١٢ رطلا من الفحم لتنال منها رطلا واحداً من البخار . اما اليوم فتحسنت آلاتها حتى صار رطل البخار يستخرج من رطلين من الفحم . وفوق هذا كانت القواطر الاولية تحتاج الى ٦٨ رطل بخار لايجاد قوة حصان واحد . اما اليوم فالقاطرة الحديثة تستخرج قوة حصان واحد من ١٥ رطل بخار . وبالتالي كانت القاطرة القديمة تحرق ٧٨٢ رطل فحم لاستخراج قوة حصان واحد ، اما اليوم فقد تمكن الاتقان القاطرة الحديثة من استخراج قوة الحصان الواحد من ٣٠ رطل فحم .

ومع هذا لا تزال الادمغة البشرية ترى ان ٣ ارباع قوة الفحم في هذا العهد تذهب جزافاً ، وان ٢٠ في المئة من الفحم عينه تتفتت وتذهب ضياعاً اثناء النقل . فهي ساعية لابلاغ الاقتصاد في كل ذلك الى اقصى حدوده .

على ان بعض الشركات البعيدة عن مناجم الفحم في غرب الولايات المتحدة استغنت عنه باحراق زيت الكاز في مراجلها واستخراج البخار منه ، لكن الفحم وزيت الكاز لا يتكونان في قعر الارض بالسرعة التي يحرقهما بها الانسان على سطحها ، ولا بد من يوم ينفد هذا الكنز فيه ، فهل احتاط الانسان لتلك الكارثة ؟

نعم احتاط . وذلك بالكهرباء التي لا ينضب معينها ولا يقل

... واردها ما دامت في الدنيا انهر وشلالات . ان نقل الفحم الضروري للسكك يقتضي ثلث محولها من الشحن . فسكة الحديد لا تستغني بالكهربا . عن الفحم ومستودعاته الواسعة وحدها ، بل تستغني عن القاطرة برمتها . والقاطرة اهم اقسام السكة واثمنها ، فتضع المحرك الكهربائي النحيف في طرف المركبة الاولى الامامي من القطار ، كما ترى في حوافل الترام الجارية في شوارع بيروت . وهذا المحرك يعمل ٢٠ ساعة في النهار بينما القاطرة البخارية لا تعمل الا ثمانيا . ثم تمد خطاً ثالثاً بين الخطين تسلط التيار الكهربائي عليه بعد ما تستره قليلا بالخشب وقاية من الموت المحتوم لمن يسوقه الجهل الى ملامسته . كما ان الكهربا . تنجي من الدخان الذي صار في بعض الاماكن القريبة من المحطات ضربة على ساكنيها ، ومن ضجيج القواطر المزعج الذي يقصف كالرعود .

اللجام الهوائي للقطارات : كان الركاب يتزعجون جداً عند وقف القطار المسرع . فاخترع جورج وستنهوس الاميركي وسيلة لوقفها بضغط الهواء ، فلا يرتج القطار ولا يقع الركاب عن كراسيهم . وقصد الكومودور فندربلت رئيس شركة نيويورك سنترال الكبرى واستاذن ، فادخلوه عليه بعد انتظار ساعات على الباب . وكان فندربلت يقرأ الرسائل الواردة عليه . فامر الشاب بان يشرح له اختراعه . واخذ هذا يتكلم والرئيس لا يصغي ، بل يقرأ . وكلما فرغ من رسالة طواها وقال له : « ماذا قلت . اعد ذلك علي » . وقد تضايق الشاب جداً ولم يكمل حديثه الا بشق النفس . قال فندربلت : « انت ياشاب تطمع بوقف القطار الحديدي بضغط الهواء » ؟ اجاب وستنهوس : « نعم يا سيدي . الم اشرح لك الكيفية ؟ » فقال فندربلت : « ليس لي وقت اضيعه مع المجاذيب » .

انصرف وستنهوس مكسور الخاطر . ومضى تواً الى « الداخل » حيث مديرو السكك الصغيرة اطول اناة من مدير الشركة الكبرى . فلم يلبث ان اقنعهم ، ومدوه بالمال . فاوجد اختراعه ، وجربوه فنجح ، وكان الركاب مسرورين به فتذاكروه حتى بلغ مسامع فندربلت . وكان وستنهوس قد انشأ لاختراعه معملا في بتسبرج (بنسلفانيا) . فاذا بتلغراف يفاجئه يوماً من فندربلت قائلا : « تعال الى نيويورك لنكلمك في تجهيز قطاراتنا بآلات الوقف الهوائية . »

فابرق المخترع فوراً الى الكومودور فندربلت يقول : « ليس لي وقت اضيعه مع المجاذيب . »

امين الغريب



بقلم غنطوس الرامي



مرحباً ! زحزح وشاحك ! . . . اسعد الله صباحك .
أو انت ؟ ادخل لقلبي ، . . . انا لم اسمع صداحك
من زمان : منذ اخنى الدهر ، . . . والتيه اباحك ،

* * *

انا مذ رحت وحيد ، . . . لم ازل ابكي رواحك .
ايها البلبل ، قل لي . . . من ترى فك جناحك ؟
من درى انك لي وحدي . . . ولم يطلق سراحك ؟
انت مخلوق لقلبي . . . فلم الغير استباحك ؟

* * *

حدثوني عن جراح . . . ليت في قلبي جراحك ! .
ونواح يا نجي الروح . . . ما اشجى نواحك .

* * *

دعك من هذا ودعني . . . الان واكتمني التياحك .
فانا رغم جفاك المر . . . استجدي سماحك ! .

غنطوس الرامي

الى الشباب المثقف

بقلم مارون عبود
مدير الجامعة الوطنية بعاليه

●

حاولت كثيراً تحبير موضوع لخرن القلم. وظل هذا الفكر يصبحني ويمسيني كأنه طيف «وحيد» من ابن الرومي. لي حيث انصرفت منه رفيق، عن شمالي وعن يميني وقدامي وخلفي، فاين عنه احيد. ثم غورت الفكرة في اللامحصور فطفق يشتغل بها عني، فاصبحت شعورياً معمولا للتنازع، وامسيت لا شعورياً عرضة للاشتغال، يجري كل هذا في نفسي وانا غافل عما بي. وكان ان ثقلت منذ ليال بعد العشاء. فراودني النعاس عن نفسي فاستسلمت للتجربة. وما عانقت مخدتي ذاك العناق البري. حتى اقبلت بنات فرويد وابن سيرين تخطر في هوادجها وحدائجها، واذا بي ارجع شرخاً اتخطر في مكتبي كاني غصن بان يداعبه الهواء. وقد قلت في نفسي: ولم كل هذا العناء؟ فكما كنا نعالج في اشتداد ازمات التأليف الماضية مواضيع الحرية وحب الوطن والتأني والصدق، فلنحدث الناس اليوم عن امرىء القيس ودارة جلجل. المواضيع كازياء الشباب فما علينا لو درنا حول دارة جلجل جولات، فانكرنا وشككنا وسفهنا حامل لواء الشعر في النار؟ وتطور الحلم والاحلام تطورات عجيبة، فما راعني الا امرؤ القيس يسدد نحوي رمحه فمت فزعاً. انها والله اول مرة رأيت فيها رمحاً مسدداً. فتماوت له فادرك انه ينازل غير بطل فقال: تكفيني قروحي فلا تنكأوها ببحوثكم البغيضة. هذا ينكر وجودي وذاك يفسقني، وهذاك ينصرني. افلا تستطيعون غير هذا العبث؟ لديكم مئات الدارات وعندكم مئات العنيزات وعشرات الحمامات، فما لكم تثأرون عنيزتي وتحتلون دارتي؟ ان دور اصطيافكم وطلولنا سيان، فاسألوا كما سألنا. وقفت على الطلول مرة فوقف الشعراء وقفتي ووقف الشعر. واغاروا على كل ما قلت ولم يدعوا لي ملكاً خالصاً الا قيد الاوابد.

فقلت في نفسي: قاتل الله الجاهلية، فالطف تحياتهم السيف والرمح، فالفرار الفرار. فجئت الفرزدق فقال لي ان نار غالب قد طفئت. وقابلني الاخطل بعبائته الموصلية وابتسامته الكزة وعلق يحلف بالصليب وماسرجس انه لا يريد قتالا. اما اذا ازعجته فينتحي لنا من لياليه العوارم اول. فهو يرى الهوامش التي تعلق على حواشيه ابرد من جلد الحية واشد صمتاً من السمكة. وفيما نحن نتجادل اقبل علينا رجل مربوع غير ممتلي. فقال الاخطل: هوذا الخطفي. قد اجمعنا امرنا امس وبتنا على ان يتوجه احدنا اليكم، فينبئكم اننا جد اصحاب في الابدية نأكل في قصعة واحدة، فاياكم وايانا.

اما جرير فقال بعد ان احتبى: ياغياث! منو هذا الارضي، وما يبتغي؟ فخبره خبري، فاحرنجم عني بعد اقبال، ولم يزد على ان قال: اشتهي والله ان اقول «دامغة» ثانية فلا تكن موضوعها. وليتك تكون، فلي فيك مرعى خصيب.

ورأيتني افر من هؤلاء الشياطين الثلاثة واهيم على وجهي، وأرى عمر يقود الاغر وحوله صويحباته الثلاث، والابتسامة مل. فمه، وقد عرفته من ثنيتيه ونظراته المتقدة كالتنور المسجور، فقلت في نفسي: ساعة رضى. لعل عمر يرخص لنا بالرعي في حماه.. ففهم عني بلا كلام وحذرني مغبة عملي، ثم قال: انتم يعنيكم الاخلاص في الحب، وانا كان يعنيني من الدنيا اثنان، الجمال والفن. كلاهما متعة عندي، فاعملوا انتم ولا تكونوا طفيليين. حسبي تعذيب رواتكم فلا تردني، عافاك الله.

فقلت في نفسي اذن علي بالعميان، فاذا اشتد الخطب اهرب. فاقبلت على بشار فرأيته منبطحاً في دهليزه كانه جاموس. فما احس بي حتى استوى قائلا: ليفهم الناس ما استطاعوا، فويل جهلهم اخف من ويلات شروحكم السمجة. وما صدقت انه الجد حتى بل يده بقائم الذي يعاتب به الجبابرة فانصرفت راشداً. واذا بجماد عجرد يقهقه ويناديني: اتطلب الخير من

القرد ؟ فاجبته وانا لا الوي عليه : قردك يخيف يا حماد . وسمعت شخيراً ونخيراً يتعالى من ماخور على الطريق فرأيت والبة وابا نواس سكرانين فما رجوت عندهما خيراً . ومر بي رجل من اهل السمت قيل لي انه ابن المقفع فلم الحق به . ورحت انشد الجاحظ في دكاكين الوراقين فلقيني اعمى يتعكز على عصاه، فعرفته ورجوت ان يكون ارحب صدراً من زملائه، فاخذ الشيخ يتلوى كانه ممغوص . ومما قال: هجرت الناس لاستريح فلم يكفوني شرهم، هذا يثقل علي في سجني برابطة المودة زاعماً انه يعرف فضلي ، وذاك يطوفني في الدنيا وانا رجل ضرير مكسور العصا ، ويزيدني نكاية بتقويلي ما لا اقول . ندمت والله واستغفرت ربي الف مرة لانني كتبت (عبث الوليد) فما عبثكم هذا يا اصحابي ؟ لست والله من عميان الكدية . افي كل عصر لي ابن قارح يقرح قلبي وكبدي ؟

فقلت في نفسي: ربما سئم هؤلاء المشاهير دروساً هي حقاً اثقل من درس البيادر . فجاء في بالي دعبل الخزاعي واذا به يرتفع لي من بعيد يحمل خشبته التي لم يصلبه عليها احد ، فحمد الله واثنى عليه لانه استراح بشفاعة آل البيت من منهاج البكالوريا . ومنيته مواعد كاذبات فما صدق ولا اغتر، وكان وداعنا صرخة داوية،فاستيقظت على صوت صاعقة انقضت في مكان قريب . فقعدت في فراشي مذعوراً ادلك عيني كالخفاش .

* * *

هذه حقيقة احق الناس بادراكها الشباب ، فجذور المستقبل تمتد في الحاضر . دعوا الموتى يستريحون في قبورهم ولا تنبشوها كل ساعة، واذكروا قول ابي العتاهية :روائح الجنة في الشباب . فانفحونا بروائحكم الطيبة لنتعلل . الا تكونون على الاقل كابي منذر بشار ؟ الحيون في الشاطي . قبل ان تشيخوا ايها الابناء ؟ الا تذكرون قول النواسي : وشيبي بحمد الله غير وقار ؟

قد تقولون: هكذا تعلمنا وبهذا حملنا الشهادات الكبرى وانا اقول لكم : ليست الشهادة مهما كبرت غير مفتاح باب الثقافة . فان لم تفكروا ولم تريدوا تبقوا خارجاً كعذارى الانجيل الجاهلات . واذا كان هدفكم الابعد هذه الدروس العقيمة فالغد مظلم قاتم . ان تقديس القديم من طبيعة الشيوخ فاين ثورات الشباب؟ دعوا الدراسات والمذاكرات للخمسين والستين . اما العشرون والثلاثون فللخلق والابداع .

درستم ، ولا ريب « الارادة » درساً عميقاً ، وقد حفظتموه كالماء الجاري ولولا ذلك لم تصيروا فلاسفة . اما علمكم علم النفس ان كل بديع وجديد من عمل الارادة ؟ يريد المرء فيخلق نماذج جديدة فلماذا لا تريدون ؟ الارادة تصير الفعل الالي والعادي فعلا تأملياً مقصوداً، فتفرغه في قالب جديد طريف فاريدوا وتأملوا . يقول لكم علم النفس ان الارادة تسير الحركات والتصورات كما يقتضي الزمن والاحوال، فلماذا لا تقرأون في كتب الحياة؟ لماذا لا تستوحون الظروف والاحوال بدلا من تدارس هذه المواضيع المبتذلة ؟ قد مل الناس حديث الاصمعي وابي عبيدة وخلف الاحمر والقيرواني فليس يرجى منها حياة ادبية ان كنتم من طالبيها .

فبدلا من ان تقودكم العادة العمياء كما قادت الذين قبلكم الى حفرة الانحطاط،فانهضوا على اجنحة الارادة وطيروا الى الافاق البعيدة. قد اغضبكم ان اقل: ان هذا الادب من سقط المتاع . اتطحنون الطحين يا اصحابي؟ان درس الادب القديم ممل وكيف به باساليب اقدم منه ؟

ليتكم تفكرون في كل شيء ، بل ليتكم تريدون فتخلقوا لنا غير هذا الادب المملول . ما افسد الادب العربي الا نسج نوابغه على نول واحد، فلا تفعلوا فعلهم . ننتظر كل ساعة ان ندعى الى مآدبكم الغنية ولا نرى الا طعاماً معاداً . ان العادة تقيدكم والارادة تحرركم فايتهما تتبعون؟

اريدوا تفلحوا ، ولا يضلكم الدعاة فتقضوا الشباب بين الرمز والواقع . لا يوجد الا شيء واحد هو سحر الفن ، ويا سعد من يجده .

مارون عبود

لغة الكلام

بقلم واصف البارودي
مفتش ممتاز وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة

لغة الكلام ، وسيلة التفاهم بين البشر ، ابتدعها الانسان بحكم استعداده ، لتكون اداة صالحة تعرفه بالكائنات ، فيدرك حقيقة نفسه الانسانية ، فيتصل بكيانه الاجتماعي .

وما اتصل الانسان بكيانه الاجتماعي حتى كانت النشأة ، نشأة التكوين القومي والانساني ، وهو تكوين تطور ويتطور به الانسان من فرد الى عائلة ، ومن عائلة الى اسرة ، ومن اسرة الى قبيلة ، ومن قبيلة الى مدينة ، ومن مدينة الى وطنية قومية دينية ثم انسانية ، خاصة فعامة ، تتصل بالحقيقة الازلية ، علة العلل ، التي تعبر عنها تلك الكلمة الرائعة ، وهي كلمة الله – و « في البدء كانت الكلمة . »

لغة الكلام هي كلمات تتجسد فيها المعاني ، من فكر وشعور وارادة .

هي كلمات الحياة ، بل الحياة في كلمات تعبر في انسجامها اصدق التعبير عن ذلك الكائن الاجتماعي العجيب ، الذي اخضع الكون واستعمره بشعوره وعقله ، اي بلغته .

كائن عجيب قوي ، على ما فيه من مظاهر الضعف ، اخضع الكائنات واستثمرها وما كان له ان يسيطر ، لولا لغته التي ميزته عن سائر العوالم ، وخاصة عالم الحيوان ، فعرف بالحيوان الناطق .

لغة الكلام هي تعبير وبيان بل هي القوة السحرية التي رفعتنا من حضيض الحيوانية المسيرة بالغريزة التي ينكمش فيها الكائن الحي ، فيجمد ، الى مستوى الانسانية التي يقودها العقل الى عالم الابداع والابتكار ، فتتطور وتتقدم وترقى ، وتكون مجتمعها الانساني الصحيح الذي يعيش فوق الازمنة والامكنة ، بعيداً عن مثار البغض والحقد ، مسلحاً بالحق ، مجاهداً في سبيل الحقيقة والخير ، حصنه الحب ودرعه الجمال .

قل لي ، بربك ، ما هي هذه القوة التي تصلك باجدادك واسلافك ، وانت ما كنت لولا تلك الصلة لتستطيع المباهاة بامتك ، والتفاخر بقوميتك ؟

وما هي تلك القوة التي تقربك لسائر الامم ، فتصبح الوحشة انساً ، والجفاء الفة ، والعداء صداقة ، والتنافس تعاوناً ؟

بل ما هي تلك القوة التي تحفظ لك تفكير الماضي وشعوره ونزوعه ، وتجاربه واختباراته ؟ تحفظها لك حكماً سامية وامثالا سائرة وآداباً رائعة وعلوماً متنوعة وفلسفة جامعة ؟

هل يستطيع الاتيان بكل تلك المعجزات كائن غير اللغة ، ممثلة الحضارات ومشخصة الاجيال ؟

ان للغة مع الانسان شأناً عجيباً !

هو اوجدها ، فايقظت فيه حب المعرفة فكانت امكانية البحث والتفكير ، واثارت كوامن احساسه وشعوره فبرزت من نفسه جرثومة تذوق الجمال .

شعر عندئذ بلذة ناشئة تغمر نفسه ، وادرك بحدسه ان الفضل للغة ، فزادها عناية . فما وسعها وهي الكريمة الخيرة ، الا ان تزيده للمعرفة حباً ، وللاستطلاع ميلا وللجمال تذوقاً .

وما زال الانسان واللغة يتبادلان التفاعل والتأثير : هو يعمل في تقويتها واغنائها وفي توسيع دوائر آفاق التعبير والبيان ، وهي تعمل في تقوية تفكيره وتوسيع دوائر افاق بحثه وتلطيف شعوره ، حتى بلغ كل منها اشده .

فاذا الانسان فتى ، قوي بعضلاته وعقله ، لطيف بشعوره وعواطفه ، ازهرت في نفسه نبتة الجمال فاصبح يتذوقه ، فتستهويه روعته وتفتنه حلاوته ، تفتح للحب قلبه وتعطشت الى القبل شفتاه .

واذا اللغة حسناء فاتنة في تركيبها انسجام بديع ، ولالفاظها رنة موسيقية عذبة ، تنثر الدرر والجواهر عن سعة ، لانها غنية جوادة ، وتنظم اللالىء عقوداً وقلائد تطفو عليها طلاوة تنم عن ذوق ونبل وكرامة .

احس كل منها بشعلة الحب تتقد في نفسه فتهز قلبه وتلهب دماغه ، فعشقها وعشقته ، وما لبثا ان اقترنا ، وكان مهر الحسناء وعد الانسان بان يكون لها خير حافظ ومانع ، فكان جهازها عهداً قطعته على نفسها ، بان تكون الصورة الصادقة لحياته ، وما وقع العروسان العقد ، حتى تحرك النسيم وغردت الطيور فانشدت الطبيعة اعذب الالحان . وبينما الطبيعة في افراح العرس سمعت اصوات الابواق تعلن حديثاً :

ها هي الغيوم تنقشع ، وها هو وجه الدهر المهيب الوقور يطل من عليائه ، وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة رصينة هادئة .

نظر الدهر الى العروسين بعين الحنو والعطف والرحمة ، ومد يده قائلا :

ابارك هذا الزواج .

فللانسان التقدم والرقي ، والسعادة والمجد ، ما دام محافظاً على وعده ، وللغة الفصاحة والبلاغة وروعة الجمال ما دامت صورة صادقة للحياة .

والويل لمن ينكث عهده ، بل الويل لمن يخدع هذه الحسناء ويغدر بها ...

واصف البارودي

كيف نستقبل الوليد الجديد

بقلم الدكتور حسين سري الدبه

ان الاضطرابات والانزعاجات المبطنة بنسيج الامل التي تنتاب الحبلى في اثناء الحمل والآلام والاخطار المغلفة بغشاء الرجاء التي تهددها على فراش المخاض تتبدد جميعها حين سماع الصرخة الاولى التي يبعثها هذا المخلوق الجديد ، ذلك الصوت الملائكي الذي يحمل في تموجاته البريئة بلسم الشفاء الى قلب امه ، واكسير النشاط الى قواها المتهدمة ونسمة الحياة الى جسمها المختلج وشعاع الرجاء الى عينيها الذابلتين فتتلاشى بلحظة واحدة كل الاوهام والمخاوف وتصبح اماً كاملة بكل ما في الامومة من حنو ومحبة وقوة وتضحية ، وتدرك في لحظة واحدة ما فاتها في سائر اعوام حياتها .

تتفتح عيناها اذ ذاك فترى ان كل ما يحيطها يرمز الى الامومة ، فالطبيعة بفصولها أم تحتضن الحبة في جوفها ايام الخريف وتظللها بثلجها ايام الشتاء ، وتبعث الحرارة فيها ايام الربيع فتلدها نبتة نضرة تشع الحياة من وريقاتها النحيفة ويعبق الاثير بشذى زهورها الجميلة ترقدها على موسيقى حفيف الاوراق يداعبها نسيم المساء العليل وتوقظها على انغام زقزقة العصافير تدغدغ اثير الفجر الباكر فتستقبل الحياة هانئة في اجمل فصول السنة حيث لا حرارة تحرقها ولا برد يميتها ، تتم نموها في فصل الربيع وتتم نضوجها في فصل الصيف وهي في كل الفصول صادقة الامومة امينة على واجباتها .

ترى في انثى الحيوانات المفترسة التي كانت بالامس ترتعد فرائصها لدى الولادة ، تلك الام الرؤوم المتفانية التي تفدي نفسها في سبيل سعادة اطفالها ، ترى في تلك العصافير الصغيرة المرحة التي كانت بالامس اداة لهو في نظرها تغرد وتحلق في الفضاء الواسع لا تأوي الى الافنان الا لاجل النوم والراحة ، ترى فيها تلك الام الجادة تحتضن بيوضها برزانة مدة طويلة معتمدة على اعالة الاب المجتهد الذي كان بالامس ذلك الشادي الطروب ثم تراها تحمل في منقارها غذاء صغارها وتدربها على الطيران شأن الام الحكيمة العاقلة .

هذا ما تعده الطبيعة لاستقبال اطفالها ، اما الطفل الانساني الذي لا حاجة للتدليل على عظم اهميته فمن مميزاته طول ايام طفولته ، تلك الميزة التي جعلت فريقاً من علماء الاجتماع وفي طليعتهم الفيلسوف الاميركاني « جون فسك » يقول : ان تفوق الانسان على الحيوان يرجع في الغالب الى طول طور الطفولة في الاول، وانه كلما طال طور الطفولة كان الرقي اعظم ، فطفل الحيوان يبلغ في اسابيع من قوة التمييز المحدود ما لا يبلغه الطفل البشري في شهور وسنوات ، ولكن الادراك الانساني ونمو نواحي مواهبه الفكرية يحتاج ايضاً الى تربية من جانب الام او المربية مقرونة بالتربية البدنية المفروضة عليها ولا يكتفي بما تمنحه الطبيعة كما هي الحالة في الحيوان . واحدى النظريات المرتكزة على فلسفة النشوء والارتقاء ان العقل الانساني سائر في سبيل الكمال واننا قد قاربنا الوصول الى عصر (السوبرمان) اي الانسان المتفوق الذي سيملك عنان القوى الطبيعية ويسخرها لمشيئته فيريك من غوامض اسرارها ما لم يخطر ببال من سبقه حتى من عباقرة الرجال ، وهذا الانسان المتفوق هو ما تلقيه الطبيعة في حضن امه في حالة من ضعف القوى تجعل احقر اطفال الحيوان اقوى منه وتنيط بها امر اعداده للنبوغ والعبقرية التي تنتظرها منه الاجيال .

وعلى الام الحكيمة ان تعلم بان الطفل الذي يؤمن نقاء دماء والديه وخلوها من الامراض الموروثة والذي اجتاز ايام الحمل كاملة في احشاء ام صحيحة العقل والجسم لا بد له من ان يولد صحيحاً خالياً من الامراض والاسقام وان تعلم ايضاً ان كثيراً من الاطفال لا يحتفظون بهذه الصحة حتى نهاية الشهر الاول من حياتهم فهم لا يولدون نحفاء ضعفاء في جهازهم الهضمي وجهازهم العصبي مثلا ولكن الام او المربية هي التي تخلق هذه فيهم . واولى خطوة يخطوها الوليد نحو حياته الجديدة المستقلة هي انتقاله من حرارة الرحم البالغة حوالي ٣٧ درجة سنتكراد وهي حرارة جسم امه الى حرارة الغرفة التي يتم فيها التوليد ولهذا يجب ان تعدل حرارة تلك الغرفة حتى تبلغ درجة عشرين والفرق بين هاتين الدرجتين يسبب للوليد الشهقة الاولى وبداية تنفسه وارتجافاً في شفتيه وسائر اعضاء جسمه ، اما كيفية

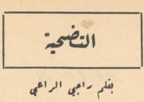
تعديل هذه الحرارة فتتم بعدة وسائل وافضلها المعدات الكهربائية مع الاحتفاظ بتبديل الهواء بفتح نافذة دون تعريض الوليد الى المجاري الهوائية . هذا يعادل ما تعده الطبيعة من الاعتناء باستقبال اطفالها من نبات وحيوان وطير من حيث اعتدال طقس الربيع ودفء هوائه وسعيد هو الطفل الذي يولد مع الطبيعة في ذلك الفصل البهيج .

اما في حالة الخديج اي المولود قبل اوانه فلا يكفي هذا التعديل البسيط في الحرارة بل يجب استعمال المفقسة الكهربائية ويجب ان يديرها الطبيب بنفسه دون سواه . ولا عبرة للشائعة الرائجة في الاوساط النسائية ان المولود في الشهر السابع قابل للحياة واما المولود في الشهر الثامن فلا امل في حياته، لان كل مولود بعد الشهر السادس والنصف قابل للحياة اذا صادف اعتناء فنياً كافياً من طبيبه ولهذا اصول في التغذية والتهوية والحرارة لا يتسع الوقت لشرحها الان خلا عن انها تختص بالاطباء دون الامهات . وكل طفل يولد بوزن لا يبلغ ٢٥٠٠ غرام وبدرجة حرارة تحت ٣٦ ونصف مع ضربات قلب ضعيفة وتنفس ضيق وانتباه قليل يتساوى حكمه بالخديج وان ولد في الشهر التاسع ويحتاج لنفس العناية المذكورة .

والخطوة الثانية في حياة الوليد هي التنفس، تلك التنهدة العميقة التي يفتتح بها اعمال رئتيه للمرة الاولى في هذا الوجود لان رئتي الجنين كما سبق تحتفظان بجمودهما طيلة ايام الحمل والوظيفة المفروضة عليهما من حيث تنقية الدم تقوم بها رئتا الحامل، ولما كان بعد الولادة ينفصل عن دم امه بقطع الحبل الصري اصبح عليه ان ينقي دمه برئتيه اللتين تشعران بتراكم الغاز الكربونيك وضرورة عملهما منذ اللحظة الاولى بعد الولادة . فاذا صودف ان عضلات الرئتين اظهرت عجزاً عن اتمام وظيفتها الفسيولوجية ولم تفتح خلاياها للهواء النقي والاكسجين وولد الطفل ازرق اللون لا حراك ولا تنفس فيه فيؤخذ حالا على الكف الواحد من جهة الصرة ويضرب بالكف الآخر ضرباً متكرراً على ظهره حتى يشهق ويبتدىء بالتنفس (ونعم الاستقبال هذا) واذا عجزت هذه الواسطة فيعمد الى التنفس الاصطناعي الذي يتم بالقاء الطفل على ظهره ورفع ذراعيه الى ما فوق رأسه ثم ارجاعهما الى جانبيه بقوة تضغط على القفص الصدري ، ثم تكرر هذه العملية مرات متوالية الى ان يبدأ التنفس الطبيعي، وفي حال عدم نجاح هذه الوسيلة ايضاً يرى الطبيب ما يجب عمله من الاساليب الحديثة التي يلجأ اليها في مثل هذه الحالات اذ ربما يعتور التنفس انسدادات داخل الفم او عاهات مولودة معه، وعلى كل يجدر بالحبلى ان لا تضع نفسها ساعة المخاض الا تحت يد ماهرة ذات خبرة واختصاص في هذا الفن والاصح ان تكون الولادة في دار خاصة بالتوليد حيث تتوفر اسباب نجاة الام وولدها من خطر مداهم وخصوصاً في حالات الولادة الغير الطبيعية . ولكي تتوفر للفقراء هذه النعمة نرى الحكومات تؤسس مثل هذه الدور وتقبل فيها الحوامل بصورة مجانية، لانه بالرغم من ان الوضع عمل فسيولوجي سهل الحصول في غالب المرات كثيراً ما يسبب فقد الحبلى او فقد طفلها او الاثنين معاً او ترك هذا الاخير مشلولا او ذا عاهات كل حياته وذلك لمجرد جهل المولدة التي يكون قد شجعها على الاقدام على التوليد توفيقها في بعض الولادات الطبيعية فقط دون فهم الاصول الكافية . ولا ينبغي للحامل ان تقدم على الوضع قبل ان تكون عرضت نفسها على طبيبها او مولدتها مرات قبل ذلك للتأكد من وضعية الجنين ومن حجمه بالنسبة لجهازها التناسلي واذا اهملت هذا واقبلت على الولادة بغتة لا تكون بأمن من خطر المخاض .

وبعد التأكد من ان الوضع قد تم في جو دافى. وان الوليد قد تنفس تنفساً طبيعياً يعمد الى تطهير عينيه بمحلول البوريك او محلول نيترات الفضة او الارجيرول واذا تعذر وجود هذه فبعض نقاط من عصير الليمون الحامض في كل عين يكفي بشرط ان تقطع الليمونة رأساً حين الاستعمال . وبانتظار بصق المستيمة اي الخلاص من رحم الام يؤتى بقطعة من القطن مغمسة بالفازلين او الكلسيرين او الصابون السائل او زيت الزيتون النقي وتستعمل لرفع الغشاء اللزج الذي يغطي جلد الوليد قبل وضعه في الحمام الاول وهذا يجب ان يتم بواسطة الطبيب او القابلة دون سواهما وفي ماء حرارته ٣٧ درجة ستنغراد اي بحرارة الجسم بعد ان يكون اغلي واضيفت اليه كمية قليلة من السبيرتو النقي ، كل هذا يجب ان يتم بواسطة ايد تلبس القفازات المطهرة مع وضع كمامات من الشاش تغطي انف وفم كل من يدخل غرفة التوليد لان الوليد معرض بكل سهولة لاخذ الجراثيم التي تنبعث عن هذه الطريق . اما ما يطلى به جلد الوليد من رياحين واطياب ويغسل به من ماء الملح وخلافه فهو من العادات البالية التي لا فائدة منها ناهيك عن الآلام المبرحة التي تنزلها هذه بذلك الجلد الطري النحيف وما يحنك به فمه من عسل او غيره فهو مما يعرضه الى ابتلاع ما قد يعلق بهذه من جراثيم قتالة فيجب تجنبه ويكتفى بتنظيف الفم مما يكون قد علق به من مواد لزجة ومخاطية اثناء وجوده في رحم امه . وينشف الجلد جيداً بعد حمامه الاول ويلف لفاً محكماً ونتركه الان هانئاً كذلك حيث ندخله الى معهده في غرفته التي سنأتي على وصفها في المقال القادم فالى اللقاء .

حسين سري الدره



بقلم راجي الراعي

◆

التضحية كلمة عظيمة تنطوي على اعظم واروع ما في كتاب النفس والحياة ، بل هي الكلمة التي اذا لفظت او خطت فنيت فيها السطور والكلم . .

ولكن ما هي التضحية ؟ ما معنى هذه الكلمة الحمراء ، وما هي السمة الرئيسية التي تمتاز بها ؟ التضحية ان تتخلى عن كلمة هي « انا » لكلمة هي «انت» فتبدل الالف تاء وليس ذلك بالسهل وان بدا سهلا ، فدونه اعظم عراك تخوضه النفس لتظفر بعلم الرجولة والعظمة . .

« انا » هي القاعدة التي يقوم عليها تمثال حب الذات ، ذلك الحب الذي وصفه الشاعر بقوله :

يريد ان يغترف البحر ولا   يترك منه قطرة تروي الظمأ

اجل ان الانانية تريد لها البحر كله : قطراته قطرة قطرة ، وزبده كأساً كأساً ، ودرره درة درة ، واسماكه سمكة سمكة ، وشواطئه شاطئاً شاطئاً ، تريد ذلك اذا اطلق لها العنان وانبطح ثورها ذو المئة القرن والقرن في ساحة النفس واحتلها فاتحاً شدقيه الغليظين وعينيه المنهومتين ، ومطبقاً شفتيه المتهدلتين الغليظتين على كل ما تقع عليه اليد ، وبعبارة اخرى ان الانانية هي البركان الذي تتفجر منه الغرائز والشهوات والاهواء ، والتضحية قائمة بان تحطم ما امكن من قرون ذلك الثور وان تخفف ما امكن من هول هذا البركان . .

ان حب الذات متأصل في الانسانية تمتد جذوره الى اليوم الاول من الخليقة وليس في طاقتك ان لا تحب نفسك ، فانت تحنو على روحك وجسدك حنو المالك على ملك أعطيه ، ثم انت تتطور وترقى ، فاذا تخليت عن ذاتيتك لم تقو على تنميتها وتعزيزها ، ولكن خمرة ذلك الحب يجب كسرها بحب الاخرين وحب الكمال ، فانت لا تعيش وحيداً في هذه الدنيا ، فهناك الناس ، اخوانك ورفاقك في الانسانية وهناك المثل العليا .

ان عليك واجباً يجب ان تؤديه واذا كنت في انانيتك حراً فانت في ذلك الواجب اسير مقيد . . انت غصن في شجرة الوجود ولست الشجرة كلها ، فكلما تأودت بانانيتك وزهوت وازهرت تطاولت اليك الجذور تطلب منك ثمراً تحمله فيثقلك ويخرج بك عن خفتك وزهوك وبذلك تقدم تضحيتك . فكلمة « انا » فيك ايها الغصن هي الزهرة التي كانت لك ، « وانت » هي الثمرة التي يقطفها الناس . .

ان الانسان رجل نفعي في الاصل رائده المصلحة ، تريد ان تنتهي اليك جميع الطرقات التي تسلكها اعمالك ، ذلك في طبيعتك وروحك ودمك . . . ان شجرة الانانية هي اقدم الاشجار في غابتك ، وانا اذ ادعوك الى التضحية لا ادعوك الى ان تجتث تلك الشجرة وتقتلع جذورها اقتلاعا ولكنني اقول : لا تدع تلك الشجرة تمتد باغصانها لتملاء الغابة كلها وتحتلها ، بل شذبها ما استطعت وخذ من ضخامتها لغيرها من الاشجار لتحيا حياتها التي يحق لها ان تحياها . .

ان في العالم فكرتين اولاهما فكرة الاخذ والثانية فكرة العطاء ، والتضحية قائمة بان تتغلب فيك الفكرة الثانية على الاولى فاذا ما اخذت مرة اعطيت مرتين . . وفي العطاء لذة لا تعدلها لذة الاخذ ، وفي اليد المبسوطة خيال جميل لا ترى له اثراً في اليد المنقبضة . . انظر الى الزارع الذي يطرح البذور في الحقول لتنمو بها الاشجار والى من يتكرم ببعض دمه على شريان فقير ، انهما لجميلان حقاً ، بل هما آية من آيات الجمال . .

انا اعرف انك تسعى الى المصلحة التي تقودك الى اللذة ولكنك بالتضحية لا تهجر عالم اللذات وانما انت تتخلى عن اللذة الصغيرة في سبيل اللذة الكبرى فاذا آثرت الحب في الزواج على الثروة عاد عليك نعيمك في بيتك بما لا تعود به بضعة دنانير، واذا اقتصدت ظفرت بلذة الغد التي تفوق لذة اليوم، واذا ضمدت جراح الناس شعرت بارتياح باطني هو السعاده كلها ، واذا ضحيت في سبيل الوطن والانسانية عاد عليك خير المجموع وهناؤه بخير اعم وهناء اوفر . .

اجل ، ان التضحية هي الفرع الرئيسي في شجرة حب الذات ، والتضحية وحب الذات لا يتنافيان ، فاذا كانت الانانية ترمي الى الاحتفاظ بالمصالح واللذات فان اللذة الحقيقية الرئيسية الكبرى التي تتفرع عنها سائر اللذات انما هي في ذلك الارتياح الداخلي النفسي الذي لا تشعر به الا اذا اعطيت من نفسك ووقتك ومالك وهوسك . . انك بالتضحية وبالتضحية وحدها تشعر انك كبير عظيم بلغت قمة الرجولة وترى العيون تحدق اليك والايدي تصفق لك ويرتاح ضميرك وتطمئن نفسك فتترنح بتلك الخمرة التي هي عندك افخر الخمور واعتقها . ان التضحية مردها الى الذات تسلخك منها لترفعك الى قمتها وهذا ما تطلبه وتريده الانانية، وهكذا تتلاقى التضحية والانانية في صعيد واحد وتتسمان في نهاية الامر بسمة واحدة .

فيا ايها الاناني ، كن لنفسك ولغيرك وانظر دائماً الى الاشجار كيف تنهض على تلك البذور التي ضحيت فدفنت نفسها في الارض ، وحاسب نفسك تجد انك حيث ضحيت حتى اليوم كنت سعيداً ، فسعادتك منوطة بسعادة الاخرين . . كن دائماً كالشمس التي تملأ اشعتها الدنيا وارتفع بالتضحية الى تلك الشرفات العالية التي تطل منها على سعادتك ، وابسط يدك ما استطعت واطرح من بذورك في الحقول فتباهي بك سنابلها وتتمايل امامك مترنحة باسمك وعطائك . اسكب من كأسك في كؤوس الاخرين فالكأس التي تشربها والناس حولك عطاش كأس مريرة . . كن الجسر الذي يصل بين ضفتين ويتدافع عليه الناس ولا تكن الممر الضيق لا يتسع لغيرك . . اذكر انك لا تستطيع ان تأخذ شيئاً يذكر في هذه الدنيا اذا لم تعط منك اشياء . .

كن للحياة الكبيرة وللافق الفسيح . .

راجي الراعي

وشاح

بقلم صلاح الاسير

◆



وقال لي الشوك مرت على الو ... رد، قبل الغروب ولم ترجع
وكان الدجى في صلاة المساء التفا ... تاً الى طيفها الاروع
تواكب في الخطو حلماً لها ... على نفرة الخاطر المسرع
جرحت ازرقاق الوشاح المدل ... وبي منه خيط هوى مترع
أنا اليوم — روضي غريب العبير — ... اموت على ذيل برد يعي
ويسألني من ترى ؟ الياسمين ... فاغضي انا الشوك او أدعي
سراب واظماء قرب الرمال ... جرحتك يا وهم بالادمع
على مهلك اليوم، وجه الربيع ... اطل بالوانه الشرع
ولي منه في البال، من امسه ... الخضيب، انهيار غد موجع
يذكرني عفو ظل الرداء ... ببوح اسرت به اضوع
وكنت المضن، انا طوفة ... الفراش على لهب المصرع
في منك ما بك من غربة ... الظلال على مقفر الاربع

الى غربية

◆

أأروى، وانت هنا الساقيه ... وبي ظمأ الحيرة الداميه
حملت العروق على محجري ... تهاويل محمومة رانيه
ويخفق دوني ازورار الطيوب ... عن الورد في عصفة باكيه
أأروى ولي دمية من هوى ... تموت على شفة الخابيه
تطل فيضفي علي الربيع ... بابراد آذاره الضاحيه
ويرقص ظل بكف السفوح ... وترفل امسية لاهيه
كأن من النسر ذوب الدماء ... على زرقة المغرب الداجيه
فيا طلل الذات هل في الكؤوس ... لنا اليوم امنية باقيه
تولول حرى غد همهمت ... عصور لاندائه السابيه
يكاد يجوع بنفسي صدى ... وانكر نجواه يا فاريه
انمتمه مقطعي اي لحن ... وانت على رجعه عاريه
هو اسمك بعد على غصة ... والقاه في نهلة ناديه



صلاح الاسير

توجيه النقد

بقلم ميشال ابو شهلا

صاحب جريدة الجمهور

اذا سلمنا مبدئياً بان النقد على انواعــه يؤدي الى الاصلاح ، وان للنقاد وظيفة سامية من شأنها ان تردع الكثيرين عن التمادي في الغرور والايغال في الضلال والاستمرار في الخطاء ، كما انها تصون المجتمـع والفن والادب من تيارات الفساد والعنت والانحطاط – اذا سلمنا بهذه الامور البديهية فلا يسعنا الا ان نحس فقراً في هذه الكلمات الى بعض الاوصاف والشروط والقيود بحيث يستشعر اهل النقد ان ميدان عملهم له حدود ومقاييس لا يمكن ان يتجاوزوهـا ، وان ركوب الهوى في هـذا الميدان يفضي الى زرع الفوضى في كل ناحية من انحـاء النشاط الفكري وكل مسلك من مسالك الحياة والابداع ، كما يفضي بصاحبـه ومن لف لفه الى الاساءة بدلا من الاحسان ، والى التفريع المزري بدلا من التهذيب الكاسي ، والى توعير السبل بدلا من التوجيه في السبيـل القويم .

ومن المصيبة في النقد ان هذا العلم الذي نعده زاوية البناء ونرى فيه الميزان المنصوب لترجيـح الجمال والكمال والكشف عن الرديء والناقص ، هو العلم الوحيد بين العلوم الذي تنتظم قواعده ولم تستو مقاييسه ولم تتفق كلمة اهل العلم والنظر على تحديده . لذلك رأيناه يعيش حياته طليقاً تائهاً ، ورأينا اهل النقد يضربون في كل واد وقلمـا اجتمع لناقدين رأي واحد . بل تبين لنا ما هو ادهى واشد : رأينـا النقد تفسد غايته ويعمى عن مواضع الدلالة ويشتد فيه التصنع ويكثر التظالم وتفرط الشهوة ، والنقاد يركضون في دروب الطعن والمساءة عمرهم ، حتى كاد النقد يصبح في كل عصور التاريخ صنو الهجاء ، وحتى اصبحت وظيفة النقد على سموها لا تجد قلماً مخلصاً يتوخى الارشاد والاصابة ، ولا تجد منتقداً الا وهو مطبوع على محبة الهدم والافراط فيه ، لا يخلو بقلمه مرة الا استفزته طبيعة الهدام الى النهش والثلب ، ومن الغريب ان هؤلاء النقاد يشبهون الى حد ما المؤدب الذي يعترم الضرب : يبدأ الضرب وهو ساكن الطباع ، فيريه الهدوء ان الصواب في الاقلال ، فحين يضرب تشيع فيه الحرارة وتثور شهوة الدم ، فيريـه الغضب ان الرأي في الاكثـار ، فيتجاوز في تأديبه حـدود المعقول وينتصب الهوى الجامح مؤدباً للناس ، وما اكثر من يعزم على عشرة اسواط فيضرب مائة .

لذلك بات النقد على التوالي ضرباً قليل الايلام ، وبلغ من زرايـة الكتاب به حداً لم يترك له قيمـة في مجالس الادب . ولست اعجب من هذا المصير الذي آلت اليه صناعة النقد فكيف تريدها ان ترفـع حظنا من الحكمة وتفتح المستغلق علينا وتحبب اصحابها الينـا ، وهي الصناعة التي لم يزاولها على الاغلب الا المتعنتون ، ولم يقبل عليها الا الذين لا يحاسبون انفسهم ؟ فاذا قرأت هؤلاء النقاد وجدت معظمهم يتطفـل على فروع من الادب لم يتذوقها ولم يتعمق في درسها : الم تر احدهم يمحص الشعر ويفنده ويسخر من هذا الشاعر وينتقده وهو غريب عن حياة الشاعر وفنه واحساسه وعالمه ؟

وما قولك بمن جاء يفرض على لغة الضاد وادبها وشعرها من القواعد والمقاييس ما تخيله فكر اجنبي تفصل بيننـا وبينه ، فضلا عن اللغـة ، عصور من الحضارة واجيال من التفكير ومراحل من التطور الاجتماعي والشعوري والفني ، اضف الى كل هذا ان تـلك القواعد والمقاييس قد تكون في لغتها الاصلية من نوع النظريات الشاردة او المطعون في قيمتها العلمية ، بل ما قولك بهذا النفر من جهابذة الكتاب واساتذة الاداب ، الذي لا هم له الا ان يتطـاول على كل ذي شهرة ، فينطق عن الموتى ويترجم كلام الاحياء ، وهو لا ينطق ولا يترجم الا بما تهوى سجيتـه وتتفتق عنه رغبته وشهوته ؟

قد اكون قسوت في كلامي عن الناقدين ، ولكنني لا اراني اسأت الى مقام النقد الذي تحته النزاهة والعلم والاخـلاص في القول . وهو النقد الذي ننشد رجاله ونفتش عنهم فلا نجد منهم الا القليل النادر في كل امة وفي كل عصر ، ولا سيما في الحقل الادبي من حقول النقد . وقـد اردت هذا التخصيص في النقد الادبي لاعتقادي ان بين النقـاد الفنيين فريقاً بلغ احترامه الفن حداً يرفعه فوق الاهواء ، وهو اذا انتقـد اثراً او صنيعاً فنياً فانما يفعل ذلك تمجيداً منه للفن وصيانـة له من مهاوي الانحدار . اضف الى هذا ان الفن واحد لا يتجزأ ، وانـه لم يكن مرة علما طليقا تعبث به المقاييس والحدود ، وان عبثت به احيانا الاذواق والالوان .

اما الادب فيا ويله من علم تنازعته المقاييس وشتى الحدود واللغات وامتلأت به مباضع النقاد وشروحهم ومراجعاتهم واذواقهم واهوائهم ، فكان من جراء ذلك ما نراه من مهازله ومباكيه ، وكانت الفوضى التي نشكو منها كما شكا غيرنا من قبلنا وما برحوا يشكون .

وما احسني الا معبراً عن احساس الكثيرين ممن تؤلمهم هذه الفوضى تسود مغاوي الادب ومراشده ، ومضاره ومنافعه . وربما كان هـذا الاحساس سببا فيما يقال من ان هناك بلادا فقدت كل الفقدان مزية النقد في بعض حقول نشاطها ، وان هنالك من بلغ حقدهم على النقـاد مبلغاً لا تسامح فيه ولا هوادة ، فاذا سمع احدهم ناقدا ينحي باللائمة على عمل ما بادره بقوله : « اسكت او ارنا احسن منه » .

واغرب من هذا كله الرواية التي نقلت عن لسان بيير لوتي ، بعـد رجوعه من المكسيك ، قال : « ذهب احد اصدقائي يزور متحفا شهيرا للرسوم الزيتية ، وبينما هو يتفحص احدى اللوحات حانت منه نظرة الى الرسام الذي كان بقربه فوجده يحمل في احدى يديه ريشة وفي الاخرى مسدسا ، فلم يتمالك عن سؤاله .

– اما الريشة فامرها مفهوم . ولكن ما تقصد بالمسدس ..

فاجابه الرسام على الفور :

– لتوجيه النقد ..

الله يا مسدس الرسام ، ما ابلغك وما اشد حاجتنا اليك !

ميشال ابو شهلا

جهاد الشعب الفرنسي

بقلم عمر فاخوري

◆

اذا قلنا ان هذه الحرب بين النازية الالمانية والشعب الفرنسي لما تنته بعد ، رغم هدنة حزيران ١٩٤٠ بل انها على الضد تزداد ضراء وشدة ، بتأثير عوامل عديدة، لعل من اهمها وأبلغها اثراً هذه الهدنة الخاسرة نفسها — ما احدثته ويخشى ان تحدثه من نتائج قريبة وبعيدة .. اذا قلنا ذلك لم يكن في قولنا شيء من التجاوز على الحقيقة او الوضع الراهن . ففرنسة ما زالت في صف الديمقراطيات تقاتل وتناضل وتبلي في الجهاد الحق احسن البلاء : في ميادين الحرب براً وبحراً وجواً الجيوش الفرنسية الحرة ، وفي الشعب الفرنسي الرازح بنير الطاغوت النازي صبر لا ينفد ، وعزيمة لا تفل ، وشجاعة لا تهن ، واستشهاد دام دائم : كلما داويت جرحاً سال جرح ..

لقد حسبت النازية الالمانيـــة وانصارها من دعاة التعاون وادعياء النظام انهم لا بدّ نائلون من صبر الشعب الفرنسي وشجاعته وعزيمته ووطنيته وايمانه بالمثل العليا التي تشرف الانسان ، وانه يكفي لذلك ان يتذرعوا بمختلف اساليبهم من الخداع والوعود الكاذبة، ومن الاجاعة والتقتيل والابادة ، ومن الارهاق والعسف والاضطهاد، ومن التفرقة وبذر بذور الشقاق ، حتى يحملوا الشعب الفرنسي في النهاية على الخنوع والاستسلام واليأس . فماذا كانت النتيجة ؟

كانت النتيجة ان الشعب الفرنسي ازداد على ذاته انكماشاً وتقبضاً ، كقبضة اليد تتجمع منذرة بالضربة القاضية ، وكانت النتيجة ان الروح الفرنسي ازداد تصلباً وتوتراً، كالقوس تشدّ وتشدّ كي ترمي الى « الخلاص » ولا تخطيء الهدف . فليست المرة الاولى يمتحن فيها الشعب الفرنسي بغارة العدو على ارضه مستبيحاً حماه المادي والمعنوي ، وبخيانة نفر من ابنائه يضحون من اجل منافعهم العاجلة سلامة الوطن وقيمه الباقية . لكن رد الفعل لم يتغير . فهنا — كما يصف الموقف شاهد عيان متحـايد — ضابط الماني يختفي اثره ، وهناك قنبلة تنفجر ، وهنالك خائن يسقط مضرجاً بدمه من رصاص فرنسي محب لوطنه ، محوط بعطف الملايين من الفرنسيين . وفي مناجم الفحم شمـالي فرنسة سلسلة من الاضرابات تأتي بغتة ، فتشل الانتاج . حتى لكأنها في فرنسة من اقصاها الى اقصاهـا مؤامرة مرتجلة ، يشترك فيها الشعب الفرنسي طواعية ، وليس في المتآمرين من لا يعلم انه يعرض للتهلكة نفسه ونفوس ذويه .

ان الشعب الفرنسي الاعزل لا يعدم وسيلة يقول بها للطاغوت النازي واعوانه ، صارخاً بل . فيه : كلا ! هو يقولها في كل حين، ولدى كل سانحة، بكل ما يملك من وسائل . فاذا ما ذكر التاريخ اطوار هذه الحرب فلن يسعه ان يسقط من حساب النصر نصيب الشعب الفرنسي الذي جرّد من سلاحه، لكن لم يخرج من المعمعة .

عمر فاخوري

هكذا تكلموا

بقلم الياس ابو شبكة

●

قرأت ليلة امس فصلا من « فوست » وآخر من « دفينا كوميديا » وآيات من « الرؤيا » . وما كاد النعاس يغلق اجفاني حتى اقبل علي « مفيستو » فحملني وانطلق بي في الجو على فرس كأنه حيوان يوحنا . وما زال بي حتى اهوى على غابة وعرة موحشة كالتي تراءى فيها فرجيل لدنتي . فاسلمني الى ظلمة رهيبة وصخور ماردة جرداء ، واختفى ! وفيما انا ابرد الظلام باهدابي وافجره بحدقتي اذا بجلجلة تدوي الى يميني كأنها جلجلة سلاسل من الحديد ، فالتفت فرأيت باباً يرتفع عن سرداب محفور بين الارض والسماء ، وفي السرداب انوار كالحة مربدّة تنبعث عن مصابيح عجيبة كأن فيها حياة ، ولهذه المصابيح اشكال يومئ بعضها الى القلب وبعضها الى الجبين ، بعضها الى اليد وبعضها الى الذراع ، بعضها الى العين وبعضها الى الفم ، بعضها الى السيف وبعضها الى القلم ، بعضها الى الشفة وبعضها الى الكأس . وما كدت اتوسط السرداب حتى تحول نظري من تلقائه الى صفيحة في الجدار متزّلة بهذه الأحرف المموهة بنور اقهب مغموم : « من هنا تدخل الى هياكل الشرف ، والوفاء ، والكرم ، والشهامة ، والقوة ، والمجد والحرية ، والحب . ايها الداخل اطرح عنك القذر والادران ! »

وبعد قليل رأيتني امام باب مختوم بسبعة ختوم ككتاب « الرؤيا » ثم رأيت يداً تزيل الاختام السبعة وتشير الي بالدخول فدخلت . دخلت الى هيكل عجيب فيه سبع منائر من ذهب وعلى كل منارة رأس محاط بهالة من الغار . ومن هذه الرؤوس التي تمثل المعرفة والحكمة والقوة والعبقرية والذكاء والبسالة والزهد بالنفس سمعت صوتا يقول :

سكبت في الانبياء زيتي   زيت النبوات من عيوني
وقلت للناصري طهّر   ذنوبهم بالدم الثمين
قلت لقيس حبيب ليلى   لانت حي بعد قرون
احمل في مقلتي عذابا   وشعلة النار في جبيني
الشيخ مثل الفتي عندي   من يسع تفتح له يميني
لما اعين وقت ظهوري   فبعد حين او قبل حين

وسكت الصوت !

فقلت : من انت ؟ فقال :

انا خفي كالحب او كالملاك ، انقضّ في ثوان
اظهر في ساعة الطعان   بين ضباب من الدخان
ولا يمس الخلود مني   الا العيون التي تراني
ليس لهاثي الا ضراماً   يدب في مسرح الزمان
فلا يغرنّك ابتسامي   فتحت جفنيّ هوّتان !

وسكت الصوت !

فقلت :

عرفت من انت ايها المتكلم بلسان الجبار . عرفتك على جبين هوميروس وسيف هنيبال وفي عقاقير باستور . ولكن فيم آثرت الاحتجاب في هذا المنفى الموحش على الظهور في مجالي المهرجانات وطرف القصور ؟

فأجاب : خمرتي غير الخمرة التي تشرب في هذه الطرف وتلك المجالي . قطرتها من ابن النسور ومزجتها باكسير من المجرة ، وقطروا خمرتهم من دم البوق والقنفذ ومزجوها بعصير الحشيش والعصافة . ولما رأيت العظمة تحتل بيوت الشوك والقراص ورأيت بيوت القراص والشوك تعرش على هياكل الفضيلة ، على المعرفة والحكمة والقوة والعبقرية والذكاء والبسالة والزهد بالنفس ، حجبت وجهي كبراً وانفة وتركت للناس قول « الرؤيا » : « عندكم اسماء قليلة من الذين لم يدنسوا ثيابهم وسيسلكون معي في ملابس بيض لانهم مستحقون . من غلب فانه يلبس ثياباً بيضاً ولا امحو اسمه من سفر الحياة . ومن غلب وحفظ اعمالي الى المنتهى فاني اوتيه سلطاناً على الامم . »

وسكت الصوت !.

فقلت : ايها المجد طهرني من قذري وادراني لاستحق ان ادخل تحت سقف بيتك !.

* * *

وبعد قليل رأيتني امام باب برىء من الزخرف ورأيت يداً تفتح الباب وتشير اليّ بالدخول فدخلت . دخلت الى هيكل عجيب قائم على سبعة اعمدة من الرخام الناصع ، وعلى كل عمود طغراء يمثل مجموعها الوفاء ، والامانة ، والوقار والغيرة ، والاحترام ،

والاستقامة ، والحشمة ، ومن هذه الاعمدة الحية سمعت صوتاً يقول :

رأيت لكل معزة عمادا ... واجنـاداً وقواداً شدادا
والضعفـاء اعداء لدادا ... وللاحقاد في الدنيا بلادا

واصلال الفواحش في بلادي

بلادي حيث تنطفىء الشرور ... وتشتعل الفضيلة والضمير
وحيث يؤيد الحق المنير ... فلا الفلاح يفضله الامير

ولا الانساب تعلو في بلادي

وسكت الصوت !

فقلت : من انت ؟ فقال :

انا الوجدان والحسب الرفيع ... انا الراعي اذا سلم القطيع
انا عرق الحياة بي الجميع ... تساووا ، لا اباع ولا ابيع

انا ملك يشرفني عبادي

فقلت : عرفت من انت ايها المتكلم بلسان النبلاء . عرفتك على جبين صلاح الدين وفي جراح بايار وصرخة بارا . ولكن فيم آثرت الاحتجاب في هذا المنفى الموحش على الظهور في النـاس ؟

فاجاب : بيتي غير البيوت التي يأويها اولئـك الوصوليون من ابناء النعمة الحديثة ، الحريصون على اثوابهم الجديـدة ، الدالعون السنتهم ، المتوهجون لاصنام الذهب والفضة ، القابضون الرشوة ، المرهفون آذانهم لاخبار الدم ، الفاتحون اعينهم لرؤية الشر . ولما رأيت شعاري ينتقل من قلب الانسان الى ثوبه حجبت وجهي كبراً وانفة وتركت للناس قول المعرّي :

لو عرف الانسان مقداره ... لم يفخر المولى على عبده
مـا رغبة الحيّ بابنائه ... عمّـا جنى الموت على جده
ومجده افعاله لا الذي ... من قبلـه كان ولا بعده

وسكت الصوت !

فقلت : ايها الشرف ، طهرني من قذري وادراني لاستحق ان ادخل تحت سقف بيتك :

* * *

وبعد قليل رأيتني امام باب عليه نقوش تمثـل بائسي فيكتور هيغو ، ورأيت يداً تفتح الباب وتشير اليّ بالدخول فدخلت . دخلت الى هيـكل عجيب لا يدرك الطرف آخره لاتساعه ، وفي قلب هذا الهيـكل رأيت اعمدة حية يحمل كل منها لوحة كتب عليها : اصنع الخير لاجل الخير . احب قريبك كنفسك ، الزكاة اخت الصلاة . انما المؤمنون اخوة . وبين هذه الاعمدة رأيت تمثالين احدهما يمثـل القديس منصور بولس والاخر فيكتور هيغو . ومن هـذا الاخير سمعت صوتاً يقول :

وضع الله هذه الدرجات ... في حظوظ تباينت في الحياة
بعضهم رازح بثقل الرزايا ... وقليلون هم اولو اللذات
ايها الاغنياء ، ان الشرائع ... بنيت للاخاء لا للمطامع
فاحذروا في امساككم كل جائع ... ان في الجوع مكمن الثورات

وعليه يشاد صرح الفظائع

ايها الاغنياء أعطوا الفقيرا ... فالزكاة الزكاة اخت الصلاة
رب فلس يعطى يشيد قصورا ... في سماء الاله ذي الخيرات
عندما تبصرون شيخاً مصابا ... لا تميلوا عنه الوجوه غضابا
وافتحوا بابكم لبلواه كيلا ... يوصد الله عنكم الابوابا
ايها الاغنياء اعطوا لئلا ... يضرب الله نسلكم فيقلا
لا تضنوا تعطوا حياة ونسلا ... فالرغيف الذي يريح العذابا

هو اسمى من النذور واغلى

خففوا ، خففوا من الاثقال ... وازيلوا الشقاء والاوصابا
تتراءى احلامكم في الليالي ... كطيوف الرؤى العذاب عذابا
ايها الاغنياء ، خلوا الحنانا ... من غناكم يفجر الاحسانا
ربما يبسم الفقير ارتياحاً ... ويقول : « الغني قد اعطانا ! »

وسكت الصوت !

فقلت : عرفت من انت ايها المتكلم بلسان الرحمة . عرفتك في البائسين من ابطالك ، في تشرد جان فالجـان وبراءة كوزيت ، وفي جمال ازمرلدا ودمامة كازيمودو ! ولكن فيم آثرت الاحتجاب في هذا المنفى الموحش على الظهور في العـالم وهو اليوم في اقصى الحاجة الى صوتك الجميل ؟

فقال : لقد رسمت للناس طريقين احداهما تؤدي الى البشاعة والاخرى الى الجمال . ولما رأيت الناس يحتقرون حكمة جوانبلين لانه مشوه ويحترمون قباحة الروح في جوفيانا لانها حسناء ، ورأيتهم يؤيدون الطاعة العمياء والواجب الظالم في الشرطي جافير لان هذا الواجب وتلك الطاعـة يوائمان اغراضهم واطماعهم ، وينكرون الرحمة على فالجان لانها تنتزع منهم القليل من اشيائهم الكثيرة ، حجبت وجهي كبراً وانفة .

وسكت الصوت !

فقلت : ايتها الرحمة ، طهريني من جشعي وادراني لاستحق ان ادخل تحت سقف بيتك !

الياس ابو شبكة



عيد الربيع

في جبل العلويين

بقلم م . ل . سفاريا

◆

تقام كل سنة ، في انحاء مختلفة من بلاد العلويين ، حفلات تقليدية ابتهاجاً لانقضاء فصل الشتاء الذي يغلب ان يكون قاسياً في الجبل ، وحلول فصل الربيع مبشراً بما يحمله من خيرات . ولقد كان لعيد الربيع هذه السنة طابع خاص وشأن عظيم في « الجبة » حيث يقيم الزعيم الكبير صديق فرنسا سليمان افندي مرشد الذي دعا الى حضور العيد بعض كبار الشخصيات من الحلفاء . وقد لبوا الدعوة معبرين عن شعور الولاء والصداقة الذي يضمرونه للعلويين .

كان بين الحضور الجنرال مونكلار الذي عرفته بلاد العلويين كابتناً سنة ١٩٢٠ . وكان الجنرال كاترو المندوب المطلق الصلاحية ممثلا في شخص السيد ليبيسيه الوزير المفوض والسكرتير العام للمندوبية الفرنسية الحرة . واوفد الحلفاء البريطانيون حضرة البريغادير الاسترالي وندير . وبينهم شوكت بك العباس محافظ اللاذقية ، والسيدة عقيلة الجنرال دي لارمينا ، والسيد مكدونلد مندوب جمعية الصليب الاحمر الاميركية في الشرق ، والكولونيل عبد الوهاب والكومندان طمب . لقد كنا نعلم ان الحفلات التي ستقام في الجبة ستضم

وفوداً غفيرة من الاهلين القادمين من كل حدب وصوب ، واننا سنشهد ضروبا من الرقص وسنسمع الواناً من الغناء لا مثيل لها في بلد من البلدان . لذلك شاءت مصلحة النشر والاذاعة في المندوبية الفرنسية الحرة ان تساهم هي ايضا في اظهار رونق العيد فأوفدت احدى آلاتها السنمائية ومصوريها ورجالها الفنيين .

غادرنا اللاذقية في الصباح الباكر .

قيل لنا ان الطريق التي تصعد الى الجبة عسيرة شاقة طويلة . لكن المناظر الطبيعية الساحرة التي ملئت ابصارنا كانت جديرة بان تشغلنا عن طول الطريق ومشاق السفر . وهكذا بعد وقت قصير انتقلنا من اخصب السهول الى اودية مهولة وقمم جرداء يخيل اليك معها انك اصبحت في عالم آخر لا عهد لك به من قبل . ثم لم نلبث طويلا حتى اخذنا نشاهد طوائف من النساء والرجال بثيابهم الزاهية الالوان المختلفة اي اختلاف عن الوان الحجارة الباهتة . كان النساء يقفن او يقفزن الى جانب الطريق الضيقة من سيارتنا كأن السيارة وحش مفترس .

لكن لا تعتم الابتسامة ان ترتسم على وجوههن وفي الوقت نفسه كان الاولاد يرسمون باصابعهم حرف (V) الذي طوف الافاق حتى اكتسح هذا البلد البعيد . وأخذ الزحام في الازدياد ، فعلمنا اننا بعد مسيرة ساعتين قد اقتربنا من الغاية .

وانحدرنا في الوادي ثم صعدنا الجبل المقابل حيث كان بانتظارنا فرسان جاؤا لمواكبتنا الى منزل الزعيم سليمان افندي مرشد . وكانت الجموع من رجال ونساء واولاد على جانبي الطريق يحيوننا مصفقين بالايدي: الرجال بكثير من الحماسة والنساء والاولاد بكثير من الزغاريد الفرحة ووصلنا الى الساحة حيث خرج لاستقبالنا صاحب الدار مصافحا ايانا فرداً فرداً .

لقد استمر المهرجان يومين كاملين وكان الثاني منهما مخصصاً لاستقبال الشخصيات الرسمية التي بلغت الجبة ظهراً فتلقاها عند مدخل القرية سليمان افندي مرشد وابنه ومحافظ المنطقة والشيخ على نصر وجماهير غفيرة





من الاهلين الذين كانوا يظهرون ابتهاجهم بالهتاف والتصفيق . وفي دار سليمان افندي مرشد ، من شرفة الطابق العلوي شاهد المدعوون الوانامن الرقص القروي «الدبكة» الجميل .

وبعد نحو ساعة دعي الحضور الى مأدبة انيقة حوت ما لذ وطاب من طعام وشراب . وألقى ابن سليمان افندي مرشد خطابا بالفرنسية حيا فيه الفرنسيين الاحرار وحلفائهم باسم والده الجليل وباسم رجاله ومريديه منوها بصلات الصداقة والولاء التقليدية التي تربطهم بفرنسا الحرة وحلفائها . فأجاب الوزير المفوض السيد ليبيسيه شاكراً كرم ضيفه واحتفائه بهم معربا عن ابتهاجه بان يرى منطقة العلويين التي عرفت فيما مضى كثيراً من العسكريين الفرنسيين كالجنرال مونكلار والجنرال بيلوت والليوتنان سوبار ما زالت تحفظهم اجمل الذكرى وان هؤلاء الرجال كانوا بمثابة صلة الوصل بين العلويين والفرنسيين لا تفتأ تتوثق يوماً بعد يوم .

وبعد انتهاء الغداء توجهت طائفة من المدعوين يرافقهم سليمان افندي مرشد الى



الى مرتفع « الشعرة » حيث شهدوا من وادي العاصي منظراً لا
لا يعدوه منظر آخر روعة وحسناً .

ثم كانت العودة الى اللاذقية وقد ودع الجميع سليمان افندي
مرشد مظهرين شكرهم له هذه الحفاوة السمحة .

وفي المساء نفسه استقبل الوزير المفوض السيد ليبيسيه في دار
المعتمدية الفرنسية الحرة شخصيات اللاذقية الدينية والمدنية
واقام على شرفه الجنرال مونكلار المندوب لدى محافظة العلويين
مأدبة عشاء حافلة .

ومما يجمل ذكره هنا ان المستر مكدونالد مندوب
جمعية الصليب الاحمر الاميركية كان ضيفاً على سليمان
افندي مرشد طيلة مهرجان الربيع ، وقد علمنا انه وزع
في بلاد العلويين خلال شهر ونصف الشهر احد عشر
الف كيس من الدقيق وكميات وافرة من الفصوليا والعدس
وسائر الحبوب .

وها نحن نقدم الى قراء « الاديب » طائفة مختارة من
الصور المأخوذة في رحلتنا .

م. ل. سفاريا

الاحداث السياسية والحربية في شهر

لا نزاع في ان اهم الاحداث الديبلوماسية العسكرية التي تخللت شهر نيسان المنصرم هي المباحثات الاميركانية الانكليزية التي دارت في لندن بين الجنرال مارشال ، رئيس اركان الحربية الاميركانية ، ومستر هنري هوبكنس ، مدير قانون القرض والتأجير الاميركاني من جهة، واقطاب السياسة والديبلوماسية والصناعة في انكلترا من جهة اخرى. ومما لا شك فيه ان الجانب الاكبر من هذه المباحثات دار حول مسألة الهجوم الذي اعتزم الحلفاء القيام به . وكان قد سبق للمارشال ان لفظ خطبة في الاولستر لمّح فيها الى مقررات على جانب كبير من الخطورة اذ قال ان القوات الاميركانية ستتعاون مع الحلفاء في الهجمات المقبلة وان هجوم الحلفاء الكبير سيبدأ بالهجوم الجوي. وما كاد الوفد الاميركاني يعود من لندن الى واشنطن حتى واصل المباحثات العسكرية والسياسية والاقتصادية التي اجراها في العاصمة البريطانية. وتقول المقامات الديبلوماسية الاميركانية ان مباحثات واشنطن ليست تكراراً لمباحثات لندن بل هي تكملة طبيعية لها. ومن اروع مظاهر الاستعدادات الهجومية التي يقوم بها الحلفاء الهجوم الموفق الذي شنه البريطانيون على سان نازير وبولونيا في فرنسا، وكان دليلا على خطأ اعتقاد القادة الالمان بأن القوات المرابطة في انكلترا لا تستهدف الا الدفاع عن الجزر البريطانية. فهذه القوات معدة في الواقع لمهاجمة شمالي فرنسا والمانيا، هذا الى ان القوات الجوية الانكليزية الاميركانية قد شرعت بمهاجمة المانيا ، ولكن هجماتها الحاضرة ليست شيئاً بالقياس الى هجماتها المقبلة ، ذلك ان الحلفاء لن يسمحوا للالمان باطلاق كل ما لديهم من القوى على روسيا . ويرى الخبيرون العسكريون ان هتلر لن يستطيع حصر جيشه في اية منطقة من مناطق الجبهة الشرقية بدون ان يعرض الجبهة الغربية لخطر كبير .

في الميدان الروسي ولا يزال قسم كبير من الخبيرين يعتقد انه بالامكان كسر الالمان في هذه السنة وان جهود الحلفاء يجب ان ترمي الى هذه الغاية. ويرى هؤلاء الخبيرون ان روسيا هي اهم جبهات الحرب وان الضرورة توجب تنظيم الجهود لتعزيز هذه الجبهة الى الحدّ الاقصى. ويظهر ان القادة الاميركان اصبحوا مقتنعين بأن الجبهة الروسية هي اهم جبهات الحرب ضد هتلر، ولذلك رأينا قضية مساعدة الروس تشغل جانباً كبيراً من المباحثات الانكليزية الاميركانية التي دارت في لندن وتدور الآن في واشنطن. والامر الذي يسترعي الانتباه هو هل يقدم الالمان على شن هجومهم الكبير على روسيا في الاسابيع المقبلة ام يقررون البقاء في موقف الدفاع؟ فان يكن هتلر يقول بالهجوم فثمة عدد كبير من القواد الالمان يقولون بضرورة الاقتصاد في القوى. وان في ترك القائدين الالمانيين لويب وروفوستد الجبهة الروسية الى اوروبا الغربية وترك المارشال الالماني كايست اليونان الى زوجها يحمل على الظن بأن المانيا ستقرر البقاء في موقف الدفاع بروسيا واوروبا العربية لتنشط الدفاع ضد هجوم من انكلترا وفي افريقيا. على ان الروس يواصلون الزحف وقد ادركوا فوزاً جديداً في منطقة الشمال حول لننغراد وفي جيب سمولنسك. وتحشد القيادة الروسية قوات غفيرة في اوكرانيا وفي الجنوب وفي فولغا السفلى وفي حوض الدونيتز وشبه جزيرة كرش، بينما الالمان يبنون بسرعة جسوراً على نهر الدنيبير وينشطون غاراتهم الجوية على مرافئ القرم والقوقاز ويرسلون مدداً الى اوكرانيا لاحباط خطة المرشال تيموشنكو الذي يقوم سداً دون النفاذ الى القوقاز . ويرى الروس ان هتلر لن يستطيع اطلاق مئتي فرقة ضدهم في هذا الصيف لان الرومانيين والمجر والبلغار والطليان لا يقدرون على توفير العدد الموعود به من الجنود ولان القيادة الالمانية مضطرة الى ارسال امدادات الى نروج وفرنسا وهولندا ويوغسلافيا .

في الشرقين الاقصى والاوسط اما في برمانيا فاليابانيون يريدون احراز نجاح حاسم قبل ان يدهمهم فصل الرياح في منتصف نوار الجاري فيشددون الهجوم في جهة سلوين، ولكن الصينيين صامدون وهم ينزلون خسائر فادحة بالعدو. وفي الجنوب شنت القوات الصينية هجوماً جديداً افسح للانكليز السبيل الى اصلاح خطوطهم على نهر بنشونغ . ويسعى الحلفاء لتنظيم الدفاع عن جبهتي سلوين والايراوادي . وتشتد الحرب الجوية اشتداداً كبيراً في جميع الجبهات ، فقد ضربت القاذفات الاميركانية طوكيو ويوكوهاما وكوبي وناغويا ، واعلن وزير حربية الولايات المتحدة ان الهجوم الاميركاني العام على وشك الانطلاق .

واما في الشرق الاوسط فالعمليات تقتصر على اشتباكات بين الدوريات لا تنم ببوادر التحوّل الى معارك واسعة النطاق . ويبدو ان الغاية التي يرمي اليها الجنرال الالماني روميل هي وقاية مطاراته القريبة من متناول الدوريات البريطانية الجسورة .